

الإسلام

مصدر السعادة والصلاح للعالم

أبي شهبان

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ
أبي عبد محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَا بَعْدُ:

نِعْمَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ

فَإِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ هُوَ الدِّينُ الَّذِي رَضِيَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ؛ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٩]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٨٥].

وَدِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبِرَاءَةُ مِنَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ.

لَا يَكُونُ الْمَرْءُ مُحَقَّقًا لِهَذَا الدِّينِ حَتَّى يَأْتِيَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ، حَتَّى يَنْقَادَ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُسْتَسْلِمًا، فَيَأْتِيَ بِتَوْحِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَيَكُونُ مُدْعِنًا لِأَمْرِ رَبِّهِ الَّذِي بَلَّغَهُ نَبِيُّهُ ﷺ، وَهَذَا كُلُّهُ لَا يَكْفِي، فَلَا بُدَّ مِنَ الْبِرَاءَةِ مِنَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ؛ إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ اصْطَفَاكُمْ لَمَّا اخْتَارَ لَكُمْ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ، فَهَذِهِ النِّعْمَةُ هِيَ أَعْظَمُ نِعْمٍ رَبَّكُمْ عَلَيْكُمْ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَفْهَمُوا دِينَ رَبِّكُمْ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَدْعُوا إِلَيْهِ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَصْبِرُوا عَلَى الْأَذَى فِيهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَلَّقَ الْفَلَاحَ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ:

﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿[العصر: ١-٣].﴾

فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ مِنَ الْإِيْمَانِ بِوُجُودِهِ، وَمِنَ الْإِيْمَانِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَمِنَ الْإِيْمَانِ بِالْوَهِيَّتِهِ، وَمِنَ الْإِيْمَانِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَا بُدَّ مَعَ هَذَا مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ لِأَنَّهُ لَا إِيْمَانَ بِدُونِ عَمَلٍ.

إِنَّ الْإِيْمَانَ الْحَقَّ هُوَ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ، وَصَدَقَهُ اللِّسَانُ، وَقَامَتِ الْجَوَارِحُ بِمَا أَلَزَمَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ، فَهَذَا هُوَ الْإِيْمَانُ: عَقْدُ الْقَلْبِ، وَنُطْقُ اللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ.

عِبَادَ اللهِ؛ إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمُ هُوَ أَعْظَمُ دِينٍ، هُوَ الدِّينُ الَّذِي رَضِيَهِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، هُوَ الدِّينُ الَّذِي خَلَقَ اللهُ لِأَجْلِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَقَامَتِ بِسَبَبِهِ مَعْرَكَةُ الْجِهَادِ بَيْنَ جُنْدِ الرَّحْمَنِ وَجُنْدِ الشَّيْطَانِ.

وَهَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ أَعْظَمُ مِنْهُ مَنْ اللهُ -تَعَالَى- بِهَا عَلَى عَبْدٍ، الدِّينُ الَّذِي يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، يَأْمُرُ بِالْبِرِّ وَيَنْهَى عَنِ الْعُتُوقِ، يَأْمُرُ بِالْأَمَانَةِ وَيَنْهَى عَنِ الْخِيَانَةِ، يَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ وَيَنْهَى عَنِ الْقَطِيعَةِ، يَأْمُرُ بِالِاتِّتَافِ وَيَنْهَى عَنِ الْإِخْتِلَافِ.

هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَأْمُرُ بِالتَّوْحِيدِ وَيَنْهَى عَنِ الشِّرْكِ، يَأْمُرُ بِالسُّنَّةِ وَيَنْهَى عَنِ الْبِدْعَةِ، يَأْمُرُ بِالْحَقِيقَةِ وَيَنْهَى عَنِ الْخُرَافَةِ، هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِي رَضِيَ اللهُ تَعَالَى لَنَا؛ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَشْكُرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ. (*)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةِ عِيدِ الْفِطْرِ ١٤٣٥هـ: «حَقِيقَةُ الدِّينِ» - الْأَثْنَيْنِ ١ مِنْ سَوَالٍ

إِنَّ أَعْظَمَ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَا عَلَى عَبْدٍ قَطُّ هِيَ نِعْمَةُ
الإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَقَلَّ أَنْ تَجِدَ مَنْ يَلْتَفِتُ إِلَى هَذَا الأَمْرِ النِّفَاتًا صَحِيحًا؛ لِأَنَّ
إِلْفَ العَادَةِ، وَلِأَنَّ إِلْفَ النِّعْمَةِ.. يَجْعَلُهَا كَالأَمْرِ نِعْمَةً؛ بَلْ يَجْعَلُهَا نِعْمَةً فِي كَثِيرٍ مِنَ
الأَحْيَاءِ، فَلَا يَلْتَفِتُ العَبْدُ إِلَى نِعْمَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ فُقْدَانِهَا!!

إِذَا تَأَمَّلَ الإِنْسَانُ فِي هَذَا الحَالِ، وَنَظَرَ إِلَى حَالِ دَوْلِ الكُفْرِ فِي بُعْدِهِمْ عَنِ
دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَجُحُودِهِمْ لَهُ، وَمُحَارَبَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَغَلَبَةِ الكُفْرِ عَلَيْهِمْ
ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَظَرَ فِي حَالِ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَحْيُونَ بَيْنَ أَظْهَرِ هَؤُلَاءِ الكَافِرِينَ؛
وَجَدَ مَا يُعَانُونَ وَمَا يُلَاقُونَ مِنَ العَنَتِ وَمِنَ المَشَقَّةِ، مِنْ أَجْلِ الإِتْيَانِ بِفَرَائِضِ
دِينِ الإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.. عِلْمَ قَدْرِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ، هَذَا بَعْدَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهُ رَبُّ
العَالَمِينَ قَدْ أَجَزَلَ لَهُ العَطِيَّةَ، وَأَضْعَفَ لَهُ المِنَّةَ لَمَّا جَعَلَهُ مُسْلِمًا.

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى نِعْمَةِ الإِسْلَامِ.

إِنَّ اللهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - قَدْ أَنْعَمَ عَلَيْنَا وَأَنْشَأَنَا فِي بَيْتَةِ مُسْلِمَةٍ، نَسْمَعُ فِيهَا
آيَاتِ القُرْآنِ الْعَظِيمِ تُتْلَى فِي الصَّبَاحِ وَفِي المَسَاءِ، وَيُقْبَلُ عَلَيْهَا الصِّغَارُ مِنَ
أَطْفَالِ المُسْلِمِينَ مُتَعَلِّمِينَ قَبْلَ كِبَارِهِمْ.

وَيُرْفَعُ فِيهَا الأَذَانُ بِأَعْلَى الأَصْوَاتِ فِي جَمِيعِ المَحَالِّ، وَفِي شَتَّى الأَمَاكِنِ،
وَفِي جَمِيعِ الرُّبُوعِ، فَيُرْفَعُ الأَذَانُ، وَهُوَ شَعِيرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ شَعَائِرِ دِينِ الإِسْلَامِ،
وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الغَلَبَةَ لِهَذِهِ الأَخْلَاقِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي البَيْتَةِ عَلَى نَحْوِ
مِنَ الأَنْحَاءِ.

وَالْعَبْدُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَلَّا يَعْيبَ نُورًا وَلَوْ كَانَ ضَيْلًا إِلَّا إِذَا آتَى بِنُورٍ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ.

فَهَذَا الَّذِي جَعَلَنَا اللهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِيهِ؛ مِنْ إِنْشَائِنَا فِي هَذِهِ الْبَيْتَةِ الَّتِي يُتْلَى فِيهَا كِتَابُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتُسْمَعُ فِيهَا أَحَادِيثُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ، وَيَرْفَعُ فِيهَا الْأَذَانَ، وَيَتَحَرَّكُ فِيهَا الْإِنْسَانُ - بِفَضْلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - مُسْلِمًا مِنْ غَيْرِ مَا عُقُوبَةٍ لَهُ عَلَى إِسْلَامِهِ وَلَا مَوْأَخَذَةٍ.. يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ النُّعْمَةَ يَنْبَغِي أَنْ تُشْكَرَ، وَإِلَّا فَإِنَّهَا إِنْ كُفِرَتْ؛ فَإِنَّ اللهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَدْ حَذَرَ مَنْ كَفَرَ بِنِعْمَتِهِ: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [مُحَمَّدٌ: ٣٨]. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الشُّكْرُ عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ» - الْجُمُعَةُ ١٤ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٢٨ هـ/

سَعَادَةُ الْعَالَمِ وَصَلَاحُهُ فِي اتِّبَاعِ الْوَحْيِ

إِنَّ النَّاسَ يَحْتَاجُونَ الْوَحْيَ وَالرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ أَكْثَرَ مِنْ اِحْتِيَاجِهِمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالنَّفْسَ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا فَقَدَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالنَّفْسَ مَاتَ جَسَدُهُ، وَإِذَا فَقَدَ الْوَحْيَ وَالنُّبُوَّةَ وَالرِّسَالَةَ مَاتَ قَلْبُهُ وَمَاتَتْ رُوحُهُ، وَمَوْتُ الْجَسَدِ لَيْسَ شَيْئًا بِإِزَاءِ مَوْتِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ.

بَلْ إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ جَسَدُهُ رَبِّمًا انْعَقَتْ رُوحُهُ مِنْ أَسْرِ الْجَسَدِ إِلَى طَلَاقَةٍ تَكُونُ هُنَالِكَ بِسَعَادَةِ الْقُلُوبِ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا فَقَدَ الرُّوحَ وَالْقَلْبَ فَذَلِكَ هَلَاكُ الْأَبَدِ، وَذَلِكَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

النَّاسُ يَحْتَاجُونَ الْوَحْيَ أَكْثَرَ مِنْ حَاجَاتِهِمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالنَّفْسَ، عَلَى شِدَّةِ الْإِنْسَانِ فِي اِحْتِيَاجِهِ إِلَى النَّفْسِ وَعَلَى شِدَّةِ اِحْتِيَاجِ الْإِنْسَانِ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَلَكِنَّ حَاجَتَهُ إِلَى الْوَحْيِ، وَحَاجَتَهُ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ عَلِمَ أَنَّ كُلَّ سَعَادَةٍ وَفَلَاحٍ، وَكُلِّ هِنَاءٍ وَصَلَاحٍ؛ إِنَّمَا سَبَبُهُ طَاعَةُ الرَّسُولِ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الْعَالَمِ عَلِمَ أَنَّ كُلَّ شَقَاءٍ وَبَوَارٍ، وَخَرَابٍ وَدَمَارٍ؛ فَإِنَّمَا سَبَبُهُ مُخَالَفَةُ الرَّسُولِ.

وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ أَطَاعُوا النَّبِيَّ ﷺ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَسَارُوا خَلْفَهُ، وَاتَّبَعُوا نَهَجَهُ، وَالتَّزَمُوا شَرْعَهُ.. مَا وُجِدَ فِي الدُّنْيَا شَرٌّ قَطُّ، وَلَكِنَّ الشَّرَّ يُوجَدُ فِي الْحَيَاةِ عَلَى قَدْرِ الْمُخَالَفَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَالشَّرُّ يَنْتَفِي عَلَى قَدْرِ طَاعَتِهِ، وَالصَّلَاحُ وَالْفَلَاحُ وَالْهَنَاءُ وَالِاسْتِقْرَارُ كُلُّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ طَاعَةِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ﷺ:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وَالِإِشَارَةُ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ذَلِكَ﴾؛ يَعْنِي: مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِي وَطَاعَةِ نَبِيِّ ﷺ، وَرَدَّ مَا وَقَعَ فِيهِ التَّنَازُعُ إِلَى كِتَابِي وَسُنَّةِ نَبِيِّ ﷺ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ أَبَدًا إِلَّا إِذَا كَانَ جَزَاءً لِشَرْطٍ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُهُ: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، وَجَاءَ هَاهُنَا بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْحُدُوثِ وَالِاسْتِمْرَارِ وَعَدَمِ الْإِنْقِطَاعِ: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾.

لَمْ يَقُلْ: «إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»؛ وَإِنَّمَا قَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- هَاهُنَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِمْرَارِيَّةِ الْحَدِيثِ وَتَجَدُّدِهِ: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾: الَّذِي أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَدَلَّلْتُكُمْ عَلَيْهِ، وَأَرْشَدْتُكُمْ إِلَيْهِ، وَجَاءَكُمْ بِهِ نَبِيِّ وَرَسُولِي ﷺ.. ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾: ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾؛ يَعْنِي: وَأَحْسَنُ مَا لَّا لَكُمْ وَعَاقِبَةٌ لَكُمْ فِي آخِرَاتِكُمْ.

فَدَلَّ الْأَمْرُ هَاهُنَا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ -يَعْنِي: عَلَى أَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ- وَهِيَ طَاعَةٌ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ لِأَنَّهُ لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يُطَاعَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَيُعْصَى نَبِيُّهُ ﷺ.

وَلَا يُمَكِّنُ أَبَدًا أَنْ يَتَصَوَّرَ عَقْلٌ، وَلَا أَنْ يَتَخَيَّلَ خَيَالٌ.. أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ طَائِعًا
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَهُوَ مُحَادُّ لِنَبِيِّهِ مُشَاقٌّ لَهُ، هُوَ فِي شِقِّ وَنَبِيِّهِ فِي شِقِّ، وَهُوَ فِي
 حَدِّ وَنَبِيِّهِ فِي حَدِّ!! وَإِنَّمَا يُطَاعُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ الْأَمِينِ ﷺ.

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ سَعَادَةٌ لَكُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ وَسَعَادَةٌ لَكُمْ فِي
 دَارِ الْقَرَارِ.

فَدَلَّ هَذَا النَّصُّ - كَمَا رَأَيْتَ - بِظَاهِرِهِ مِنْ غَيْرِ مَا تَأْوِيلٍ وَلَا شَرْحٍ وَلَا تَفْسِيرٍ؛
 عَلَيَّ أَنْ مَرَجَعَ السَّعَادَةَ دُنْيَا وَآخِرَةً، وَعَلَى أَنْ أَنْعَقَادَ أَمْرَ السَّعَادَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا
 بِطَاعَةِ الْمَأْمُونِ ﷺ، وَكُلُّ شَرٍّ فِي الْحَيَاةِ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ ﷺ، أَوْ
 بِسَبَبِ ارْتِكَابِ وَرُكُوبِ نَهْيِهِ.

وَمَا مِنْ شَرٍّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ وَلَا فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَى إِلَّا وَسَبَبُهُ مُخَالَفَةُ نَبِيِّنَا
 مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَأَنْتِظَامُ أُمُورِ الْعَالَمِ، وَأَنْتِظَامُ أُمُورِ الْحَيَاةِ، وَسَيْرُ الْكَوْنِ عَلَيَّ الْمُقْتَضَى
 الْأَمْثَلِ، وَعَلَى السَّنَنِ الْأَسْنَى.. إِنَّمَا يَكُونُ عَلَيَّ قَدْرٍ طَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَمَا مِنْ مَكَانٍ فِي الْأَرْضِ غَلَبَتْ فِيهِ طَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا وَتَحَصَّلَ سَاكِنُوهُ
 مِنَ السَّعَادَةِ وَالْهَنَاءِ عَلَيَّ قَدْرٍ طَاعَتِهِمْ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَمَا عَمَّتِ الشُّرُورُ فِي مَكَانٍ، وَلَا غَلَبَتْ نَوَازِعُ الشَّرِّ فِي مَوْضِعٍ.. إِلَّا لِكَثْرَةِ
 مُخَالَفَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

بَلْ إِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَتَحَصَّلُ عَلَى اسْتِقْرَارِ قَلْبِهِ، وَاطْمِئْنَانِ نَفْسِهِ، وَصَلَاحِ
بَالِهِ، وَاسْتِقَامَةِ خَطْوِهِ.. إِنَّمَا يَتَحَصَّلُ عَلَى ذَلِكَ وَيَثْبُتَ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ طَاعَةِ
النَّبِيِّ ﷺ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَأْمُرُ بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ؛ وَإِنَّمَا يَأْمُرُ بِأَمْرِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،
وَيَنْهَى بِنَهْيِهِ، وَالرَّسُولُ ﷺ يُبَلِّغُ الْوَحْيَ عَنْ رَبِّهِ، فَعَادَ صَلَاحُ الْعَالَمِ إِلَى هَذَا
النُّورِ الْمُشْرِقِ الْمُبِينِ.

وَمَا مِنْ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الْحَيَاةِ - وَلَوْ كَانَ بَعِيدًا فِي ظَاهِرِهِ عَنْ دِينِ اللَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ وَالنَّهْلِ مِنْ نَبْعِهِ الصَّافِي الْمَعِينِ - فِيهِ صَلَاحٌ إِلَّا وَمَرَدُّهُ فِي الْمُنْتَهَى إِلَى
وَحْيِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَلَوْلَا الْوَحْيُ لَكَانَ النَّاسُ أَحَطَّ مِنَ الْبَهَائِمِ، وَأَسْفَلَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ، لَوْلَا
الْوَحْيُ، وَلَوْلَا الرَّسَالَةُ، وَلَوْلَا النُّبُوَّةُ.. مَا كَانَ عَرِضٌ وَلَا شَرَفٌ، وَلَا كَانَ حِفَاطٌ
وَلَا كَرَامَةٌ، وَلَا كَانَ مَالٌ يُقْتَنَى، وَلَا كَانَتْ دَارٌ تُسْكَنُ؛ وَإِنَّمَا لَعَمَّتْ - حِينِيذِ -
شُرْعَةُ الْقُوَّةِ؛ يَتَغَلَّبُ الْقَوِيُّ عَلَى الضَّعِيفِ مِنْ غَيْرِ رَادِعٍ، وَإِنَّمَا يَتَوَقَّفُ الْإِنْسَانُ
عِنْدَ حَدِّهِ، وَإِنَّمَا يَنْتَهِي الْإِنْسَانُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَنْبَغِي أَلَّا يَتَجَاوَزَهُ، كُلُّ ذَلِكَ..
وَلَوْ كَانَ فِي دَسَاتِيرِ وَضَعِيَّةٍ وَقَوَائِنِ بَشَرِيَّةٍ، كُلُّ ذَلِكَ مَرَدُّهُ فِي الْمُنْتَهَى إِلَى وَحْيِ
اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِلْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، وَإِلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ ﷺ.

مَا عَرَفَ النَّاسُ الْكِرَامَةَ، وَلَا عَشِقَ النَّاسُ الْفَضَائِلَ، وَلَا اسْتَدَلَّ النَّاسُ عَلَى
مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ، وَلَا حَادَ النَّاسُ عَنِ الشُّرُورِ وَالسَّفَلِ وَالرَّذَالَةِ وَالْوَضَاعَةِ

والتدني.. إلا بسبب الوحي، وبسبب النبوة، وبسبب الرسالة، يأتي بذلك كله أولئك المطهرون المصطفون من أنبياء الله الصالحين ورسله المكرمين، وختامهم وتاجهم محمد ﷺ.

سعادة الدارين في اتباع الوحي، وشقاء الدارين في مجانبة الرسالة والنبوة والوحي، وعلى قدر الثبات على شريعة الله رب العالمين يكون استقرار الإنسان مفردًا، واستقرار المجتمع مجموعًا، واستقرار العالم بأسره.

وعلى قدر البعد عن دين الرب، عن دين الإله الحق، عن دين الله جل وعلا.. يحدث ما يحدث من انتهاك للأعراض، وسفك للدماء، ومن نهب للأموال، ومن اعتداء على الديار والممتلكات؛ كل ذلك سببه البعد عن الوحي، والبعد عن الرسالة، والبعد عن النبوة.

والناس مع الوحي إما رادُّ له أبداً، مكذب به سلفاً، فهو لا يُقرُّ أن لله رب العالمين وحيًا على عباده المصطفين الأخيارِ ينزل، لا يُقرُّ بذلك بدءًا ولا ينتهي إليه، وإنما يكذبه سلفاً.

ومثل هذا إنما يُنكر العقل؛ لأن الله رب العالمين جعل الفطرة مغروسًا فيها لجوءً إلى الخالق الأعظم.

وما تراه هنالك إلى اليوم في تلك القبائل البدائية التي تعبد أصنامًا إلهة من دون الله رب العالمين بـ (الديانة الطوطمية) عندما يأتي في الكون فرع، أو عندما يحلُّ بالناس فرع، وعندما يحدث من أمر الله رب العالمين في كونه الممتد من

أُمُورٍ مَخُوفَةٍ لِهَذَا الْإِنْسَانِ الضَّعِيفِ، لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا، ثُمَّ كَانَ، ثُمَّ إِلَى الْعَدَمِ
يَصِيرُ! فَمِنْ أَيْنَ؟! وَإِلَى أَيْنَ؟! وَلِمَ؟! وَلِمَاذَا?!!!

أُمُورٌ مُحِيرَاتٌ؛ لَا يَجِدُ الْمَرْءُ حَلَّهَا، وَلَا حَلَّ شَفَرَاتِهَا، وَلَا الْإِنْتِهَاءَ إِلَى حَلِّ
مُفْرَدَاتِهَا وَعَوِيصِهَا.. إِلَّا فِي هَذَا الْوَحْيِ الْأَغْرَّ.

وَدِينُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ يَبِينُ لَنَا رَبَّنَا - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - فِيهِ - كِتَابًا وَسُنَّةً - أَحْوَالَ
النَّاسِ مَعَ هَذِهِ الْهِدَايَةِ الْعُظْمَى، الَّتِي مَنَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَا عَلَى النَّاسِ؛ إِذْ
يَسْرُدُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ عَلَى نَبِيِّنَا ﷺ كَيْفَ كَانَ النَّاسُ يُعْمَلُونَ الْعَقْلَ، وَالْعَقْلُ لَا
يَعْمَلُ إِلَّا فِي مَجَالٍ، وَالْعَقْلُ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الْحَدُّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهِ، وَهَذَا
مِنْ احْتِرَامِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ الْعَقْلَ مَنَاطَ التَّكْلِيفِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ،
فَمَتَى فَقَدَ فَقَدَ التَّكْلِيفُ ثَمَّةَ.

وَالْإِنْسَانُ لَا يَكُونُ مُكَلَّفًا إِلَّا وَهُوَ حَاضِرُ الْعَقْلِ، وَإِلَّا إِذَا كَانَ مُنْتَظَمَ
التَّفَكِيرِ وَالْفِكْرِ، وَأَمَّا إِذَا مَا غَابَ عَنْهُ عَقْلُهُ لِعَارِضٍ يَزُولُ أَوْ لِعَارِضٍ لَا
يَزُولُ، فَإِنَّ التَّكْلِيفَ - حِينَئِذٍ - يَرْتَفِعُ، وَالْمُؤَاخَذَةَ تَمْتَنِعُ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقَعَ
ظُلْمٌ عَلَى عَبْدٍ فِي كَوْنِ اللَّهِ أَبَدًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ مَا حَكَمَ بِهِ هُوَ الْعَدْلُ،
وَمَا قَالَهُ هُوَ الْحَقُّ ﷻ.

رَفَعَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ التَّكْلِيفَ عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى
يَحْتَلِمَ وَيَعْقِلَ وَيُمَيِّزَ، وَرَفَعَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ التَّكْلِيفَ عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ
إِنْ كَانَ يَوْمًا مَا مُحَصَّلًا لِعَقْلٍ مَا، وَإِلَّا فَإِنَّ التَّكْلِيفَ عَنْهُ قَدْ ارْتَفَعَ، وَالْمُؤَاخَذَةَ
عَنْهُ تَمْتَنِعُ، وَحِينَئِذٍ يَأْتِي الْعَدْلُ عَلَى سَوَائِهِ.

فَلِلْعَقْلِ احْتِرَامُهُ، وَلَهُ قُدْرُهُ، وَلَكِنْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُجَاوِزَ حَدَّهُ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ
يَكُونَ ضَارِبًا فِي كُلِّ مَجَالٍ آخِذًا فِي كُلِّ سَبِيلٍ، وَإِنَّمَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ حُدُودِ حَدَدِهَا
لَنَا رَبَّنَا - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - .

شَبَابَ الإِسْلَامِ؛ حَتَّى لَا تُخَدَعُوا.. فِي دِينِ الإِسْلَامِ العَظِيمِ لَا تَجِدُونَ
أَبَدًا قَضِيَّةً لَا تَتَسَقُّ مَعَ العَقْلِ، وَلَكِنْ إِمَّا إِجْمَالًا وَإِمَّا عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ،
فَإِذَا نُقِلَ أَمْرٌ مِنْ مَجَالٍ إِلَى مَجَالٍ وَوَقَعَ الخَلْطُ؛ جَاءَ الزَّيْغُ وَجَاءَ الضَّلَالُ،
وَلَرُبَّمَا لَمْ تَسْتَقِمِ القَدَمُ عَلَى الصِّرَاطِ، وَلَرُبَّمَا انْحَرَفَتْ إِلَى صِرَاطٍ آخَرَ مِنْ
بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ، نَسَأَلُ اللهَ الثَّبَاتَ عَلَى الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ وَالإِحْسَانِ حَتَّى
نَلْقَى وَجَهَ رَبَّنَا الكَرِيمِ .

إِذَنْ؛ يَبْغِي عَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ فِي أُمُورِ العِبَادَةِ وَإِثْبَاتِ الخَلَاقِ الرَّزَاقِ
العَظِيمِ، لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ هُنَالِكَ أُمُورٌ تَفْرُقُ بَيْنَ خَالِقٍ وَمَخْلُوقٍ، بَيْنَ وَضِيعٍ
وَعَظِيمٍ، بَيْنَ مُتَدَنَّ وَمُرْتَفِعٍ لَهُ العُلُوُّ؛ عُلُوُّ الذَّاتِ، وَعُلُوُّ الصِّفَاتِ، وَعُلُوُّ الشَّانِ،
وَعُلُوُّ القَدْرِ .

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَالِكَ مِنَ الفَوَارِقِ مَا بَيْنَ صَنَعَةٍ وَصَانِعِهَا، مَا بَيْنَ مَخْلُوقٍ
وَخَالِقِهِ، مَا بَيْنَ مَالُوهِ وَإِلِهِ، وَإِلَّا.. فَأَيُّ عِبَادَةٍ هَذِهِ؟! وَأَيُّ دِينٍ!؟

وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَ حَتَّى الأَحْجَارَ، وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَ حَتَّى الأَبْقَارَ، وَالَّذِينَ
يَعْبُدُونَ البَشَرَ مِنْ دُونِ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ.. عِنْدَهُمْ مِنَ الأَسْرَارِ، وَعِنْدَهُمْ مِنَ
الأَلْغَازِ، وَعِنْدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَحَاجِيِّ التِّي لَا تَتَسَقُّ مَعَ العَقْلِ أَبَدًا بِحَالٍ، لَا فِي

جُمَلَتِهَا، وَلَا فِي تَفَاصِيلِهَا، بَلْ إِنَّهَا لَتُضْحِكُ الشَّكْلَى، عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ قَدْرٌ لَا يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ، وَلَا يُنْتَهِي لَهُ حَدٌّ عِنْدَ إِحْصَائِهِ.

وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ.. فَمَا مِنْ أَمْرٍ أَبَدًا إِلَّا وَهُوَ مُتَّسِقٌ مَعَ الْعَقْلِ؛ إِمَّا جُمَلَةً وَإِمَّا تَفْصِيلًا، فَلَا تَغْيِبَنَّ عَنْ ذَهْنِكَ أَبَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «سَعَادَةُ الْأَكْوَانِ فِي وَحْيِ الرَّحْمَنِ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ صَفَرِ

الوحي روح العالم ونوره وحياته

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ، وَقَطَعَ عَنْهُمْ الْعُذْرَ.. بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَإِنزَالِ الْكُتُبِ، وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى كُلِّ قَوْمٍ رَسُولًا: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]؛ لِكَيْ لَا يَقُومَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُجَّةٌ، فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ!

وَخَتَمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأُمَّمَ بِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَخَتَمَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ بِسَيِّدِهِمْ وَمُقَدِّمِهِمْ وَخَاتَمِهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَانَ كُلُّ رَسُولٍ يُرْسَلُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَأُرْسِلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فِي عُمُومِ الزَّمَانِ وَعُمُومِ الْمَكَانِ، فَأَقَامَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ الْحُجَّةَ، وَقَطَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ الْمَعْدِرَةَ.

وَلَمَّا كَانَتْ رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ آخِرَ بَلَاغَاتِ السَّمَاءِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ؛ كَانَ حَتْمًا أَنْ تَكُونَ مَحْفُوظَةً قَائِمَةً دَائِمَةً إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

وَتَوَلَّى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِفْظَ الْوَحْيِ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَسْتَحْفِظْ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، وَكَانَتْ الْأُمَّمُ قَبْلَنَا يُسْتَحْفِظُونَ عَلَى وَحْيِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِمْ؛ فَبَدَّلُوهُ وَحَرْفُوهُ وَزَادُوا فِيهِ وَنَقَصُوا مِنْهُ، فَتَوَلَّى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِفْظَ الرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ،

فَتَوَلَّى حِفْظَ الْقُرْآنِ بِنَفْسِهِ، وَيَشْمَلُ ذَلِكَ حِفْظَ السُّنَّةِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْمُبِينُ،
وَلِأَنَّ السُّنَّةَ هِيَ الْمُبِينُ.

وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا حَفِظَ الْمُبِينِ وَلَمْ يَحْفَظِ الْمُبِينِ؛ لِأَحَالِنَا عَلَى مَا لَا يُمَكِّنُ
أَنْ نَفْهَمَهُ وَلَا أَنْ نَسْتَوْعِبَ مَعَانِيَهُ.

يَعْنِي: إِذَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَنَا: ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وَقَالَ
لَنَا: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فَهَذَا مُبِينٌ؛ تَأْتِي السُّنَّةُ مِنْ أَجْلِ
أَنْ تَبِينَهُ.

فَنَقُولُ: إِذَا لَمْ يَحْفَظْ لَنَا السُّنَّةَ.. كَيْفَ نُصَلِّي؟! وَكَيْفَ نُزَكِّي؟! وَكَيْفَ
نَحُجُّ؟! وَكَيْفَ نَعْتَمِرُ؟! إِلَى آخِرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ التَّكْلِيفَاتِ.

إِذَنْ؛ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].
وَالذِّكْرُ هُوَ الْقُرْآنُ بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ، وَيَشْمَلُ السُّنَّةَ -أَيْضًا- بِفَضْلِ اللَّهِ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ حَتْمًا لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْأَرْضِ؛ مِنْ حِفْظِ
الذِّكْرِ وَالْوَحْيِ الَّذِي يُقِيمُ تِلْكَ الْحُجَّةَ.

وَالْوَحْيُ هُوَ رُوحَ الْعَالَمِ وَنُورُهُ وَحَيَاتُهُ، وَإِذَا خَلَا الْعَالَمُ مِنَ الرُّوحِ وَالنُّورِ
وَالْحَيَاةِ أَقَامَ اللَّهُ تَعَالَى السَّاعَةَ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ يُرْفَعُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ مِنَ الصُّدُورِ
وَمِنَ السُّطُورِ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ آيَةٌ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَذَلِكَ
بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ.

وَحِينِيذٍ -عِنْدَمَا يَخْلُو الْعَالَمُ مِنَ الْحَيَاةِ وَالنُّورِ وَمَادَّةِ هَذَا الْوُجُودِ الْحَقِّ -
فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُقِيمُ السَّاعَةَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «عِشُوا الْوَحْيَ الْمَعْصُومَ!» - الْخَمِيسُ ٢٣ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ

١٤٣٨ هـ / ٢٢ - ١٢ - ٢٠١٦ م.

دَلَائِلُ عَدْلِ وَرَحْمَةِ الإِسْلَامِ بِالْعَالَمِ

إِنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ لَمْ يَشْهَدْ فَاتِحًا أَرْحَمَ مِنَ الْعَرَبِ، هَذَا كَلَامُ رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ لَمْ يُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ، وَلَا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.

قَالَ (جُوسْتَاَف لُوبُون) (١): «إِنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ لَمْ يَشْهَدْ فَاتِحًا أَرْحَمَ مِنَ الْعَرَبِ»؛ يَعْنِي: أَرْحَمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَتْبَاعِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ.

لَمْ تَكُنِ الْحَرْبُ يَوْمًا عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ إِبَادَةً وَاسْتِصْالًا، وَحَرْقًا لِلْأَخْضَرِ وَالْيَابِسِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ الْحَرْبُ رَحْمَةً؛ يَأْتُونَ بِهِمْ فِي الْأَغْلَالِ وَالسَّلَاسِلِ لِيُدْخِلُوهُمْ الْجَنَّةَ.

(١) هُوَ غُوسْتَاَف لُوبُون (٧ مَآيُو ١٨٤١م)، طَبِيبٌ وَمُؤَرِّخٌ فَرَنْسِيٌّ، أَحَدُ أَشْهَرِ فَلَاسِفَةِ الْعَرَبِ الَّذِينَ أَنْصَفُوا الْأُمَّةَ الْعَرَبِيَّةَ وَالْحَضَارَةَ الإِسْلَامِيَّةَ، فَلَمْ يَسِرْ عَلَى نَهْجِ مُؤَرِّخِي أُورُوبَا الَّذِينَ صَارَ مِنْ تَقَالِيدِهِمْ إِنْكَارُ فَضْلِ الإِسْلَامِ عَلَى الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ وَلَكِنْ أَقْرَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ هُمْ مَنْ مَدَّنُوا أُورُوبَا، فَرَأَى أَنْ يَبْعَثَ عَصْرَ الْعَرَبِ الذَّهَبِيِّ مِنْ مَرْقَدِهِ، وَأَنْ يُبْدِيَهُ لِلْعَالَمِ فِي صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ؛ فَالْفَ عَامَ ١٨٨٤م كِتَابَ «حَضَارَةَ الْعَرَبِ» جَامِعًا لِعِنَاصِرِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَأْثِيرِهَا فِي الْعَالَمِ، وَبَحَثَ فِي أَسْبَابِ عَظَمَتِهَا وَانْحِطَاطِهَا، وَقَدَّمَهَا لِلْعَالَمِ تَقْدِيمَ الْمَدِينِ الَّذِي يَدِينُ بِالْفَضْلِ لِلدَّائِنِ، تُوفِّيَ فِي وِلَايَةِ مَارْنِيهِ لِأُكُوكِيهِ، بِفَرَنْسَا فِي ١٣ مِنْ دَيْسَمْبَرِ سَنَةِ ١٩٣١م.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَنْهَاهُمْ عَنْ قَتْلِ الشُّيُوخِ، وَعَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ (١)، وَعَنْ قَتْلِ الذُّرِّيَّةِ،
«أَلَا لَا تَقْتُلُوا الذُّرِّيَّةَ، أَلَا لَا تَقْتُلُوا الذُّرِّيَّةَ، أَلَا لَا تَقْتُلُوا الذُّرِّيَّةَ» (٢).

نَهَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الإِجْهَازِ عَلَى الجَّرْحَى، وَنَهَاهُمْ عَنِ الرَّهْبَانِ
وَالْقُسُوسِ فِي الأَذِيرَةِ وَالصَّوَامِعِ وَالْبَيْعِ (٣)، مَا دَامُوا لَمْ يَحْمِلُوا سَيْفًا، وَلَمْ

(١) أخرج البخاري في «الصحیح»: (١٤٨/٦، رقم ٣٠١٤ و ٣٠١٥)، ومسلم في
«الصحیح»: (١٣٦٤/٣، رقم ١٧٤٤)، من حديث: ابنِ عَمَرَ، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ عَنِ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ».

(٢) أخرج أحمد في «المسند»: (٤٣٥/٣)، والدارمي في «المسند»: (١٦٠١/٣)، رقم
٢٥٠٦، والنسائي في «السنن الكبرى»: (٢٣/٨)، والطبراني في «المعجم الكبير»:
(١/٢٨٤، رقم ٨٢٩)، والحاكم في «المستدرک»: (١٢٣/٢، رقم ٢٥٦٦)، من
حديث: الأَسْوَدِ بْنِ سَرِيحٍ، قَالَ:

خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي عَزَاةٍ فَظَفَرْنَا بِالمُشْرِكِينَ، فَاسْرَعَ النَّاسُ فِي القَتْلِ حَتَّى
قَتَلُوا الذُّرِّيَّةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ ذَهَبَ بِهِمُ القَتْلُ حَتَّى قَتَلُوا
الذُّرِّيَّةَ؟ أَلَا لَا تَقْتُلَنَّ ذُرِّيَّةً» ثَلَاثًا.

والحديث صححه الألباني في «الصحیحة»: (١/٧٥٩-٧٦٠، رقم ٤٠٢).

(٣) أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف»: (٣٨٧/١٢)، وأحمد في «المسند»: (٣٠٠/١)،
والبزار في «المسند»: (٩٣/١١، رقم ٤٨٠٦)، وأبو يعلى في «المسند»: (٤/٤٢٢،
رقم ٢٥٤٩)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (١١/٢٢٤، رقم ١١٥٦٢)، وابن عدي
في «الكامل»: (١/٣٨٠، ترجمة ٦٦)، بإسناد حسن بشواهده، عن ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ جِيُوشَهُ، قَالَ: «اخْرُجُوا بِسْمِ اللَّهِ، تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ
كَفَرَ بِاللَّهِ، لَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا الوِلْدَانَ، وَلَا أَصْحَابَ
الصَّوَامِعِ».

يُسَدِّدُوا رُمْحًا^(١)؛ لِأَنَّ الْحَرْبَ لَمْ تَكُنْ يَوْمًا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ إِبَادَةً وَإِهْلَاكًا، وَإِنَّمَا هِيَ تَأْمِينٌ لِلدَّعْوَةِ، وَنَشْرٌ لِلْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ التَّخْطِئِ لِذَلِكَ الْحَاجِزِ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الدَّعَاةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى التَّوْحِيدِ - تَوْحِيدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - وَالشُّعُوبِ.

وَلَمْ يُحَارِبِ الْإِسْلَامُ يَوْمًا الشُّعُوبَ، وَإِنَّمَا كَانَتْ الْحَرْبُ حَرْبًا عَلَى الْأَنْظِمَةِ الَّتِي تَحُولُ دُونَ كَلِمَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَالشُّعُوبِ.

وَعِنْدَمَا يَحْدُثُ الْفَتْحُ لَا يَتَسَلَّطُ الْفَاتِحُونَ عَلَى مَنْ كَانَ هُنَالِكَ مِنَ الْبَشَرِ؛ وَإِنَّمَا يُؤْمِنُونَهُمْ، وَيَحْمُونَهُمْ، وَيَحْتَرِمُونَ أَدَمِيَّتَهُمْ وَإِنْسَانِيَّتَهُمْ، وَإِنْ كَانُوا كُفَرًا مُشْرِكِينَ لَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَمَا فُرِضَ مِنَ الْجِزْيَةِ إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَجْلِ تَأْمِينِهِمْ، وَمِنْ أَجْلِ حِمَايَتِهِمْ.

لَمْ يَعْرِفِ التَّارِيخُ - قَطُّ - فَاتِحًا أَرْحَمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي فَتْحِ مَكَّةَ لَمَّا دَفَعَ رَايَةَ الْأَنْصَارِ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَلَمَّا كَانَ هُنَالِكَ عَلَى مَشَارِفِ مَكَّةَ قَالَ: الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمُ تُسْتَبَاحُ الْحَرَمَةُ.

والحديث في «صحيح مسلم» من رواية بريدة رضي الله عنه، بنحوه، وسيأتي إن شاء الله.

(١) أخرج الطبري في «جامع البيان»: (٢/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره»: (١/ ٣٢٥)،

رقم ١٧٢١)، بإسناد صحيح، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٩٠]، قَالَ: «لَا تَقْتُلُوا النِّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ وَالشَّيْخَ الْكَبِيرَ، وَلَا مَنْ أَلْقَى السَّلْمَ وَكَفَّ يَدَهُ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ هَذَا فَقَدْ اعْتَدَيْتُمْ».

وقال سعيد بن جبير وأبو العالية: «الْمُرَادُ بِذَلِكَ: النَّهْيُ عَنْ قِتَالِ مَنْ لَمْ يُقَاتِلْ»، وَالْقِتَالُ لَا يَكُونُ فِي النِّسَاءِ وَلَا فِي الصَّبِيَّانِ وَمَنْ أَشَبَّهُهُمْ؛ كَالرُّهْبَانِ، وَالزَّمْنَى، وَالشُّيُوخِ.

وَنُقِلَ هَذَا الْكَلَامُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَرَ بِأَخِذِ الرَّايَةِ مِنْهُ، وَدَفَعَهَا إِلَيَّ وَلِدِهِ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، وَرَأَى بِذَلِكَ أَنَّ الرَّايَةَ لَمْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْتِ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «كَذَبَ سَعْدٌ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظَّمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ»، الْيَوْمَ أَعْلَىٰ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ شَأْنَ الْمُسْلِمِينَ، الْيَوْمَ سَيُؤَذَّنُ بِأَلَالٍ: وَهُوَ حَبَشِيٌّ أَسْوَدٌ كَانَ عَبْدًا (١).

لَمَّا فَعَلَ الْقَوْمُ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ إِلَيَّ قَرِيبٍ، كَانَ يُكْتَبُ هُنَالِكَ فِي الْمَشَارِفِ وَالْمَقَاصِفِ وَالْمَلَاهِي وَالْمُؤَسَّسَاتِ: «يَمْنَعُ دُخُولَ السُّودِ، كَمَا يَمْنَعُ دُخُولَ الْكِلَابِ!».

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُبْلِغُ عَنْ رَبِّهِ أَنَّ الْمِيزَانَ عِنْدَهُ فِي التَّفْضِيلِ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّقْوَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَعُكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَيَّ حَبَشِيٍّ، وَلَا فَضْلَ لِأَبْيَضٍ عَلَيَّ أَسْوَدٍ.. إِلَّا بِالتَّقْوَى» (٢).

(١) أخرج البخاري في «الصحيح»: (٨ / ٥ - ٦، رقم ٤٢٨٠)، حديث فتح مكة، وفيه: أَنَّ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ لَمَّا قَالَ: «يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ»، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ؟ قَالَ: «مَا قَالَ؟» قَالَ: كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: «كَذَبَ سَعْدٌ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظَّمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ»... الحديث.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «المسند»: (ص ١٤٦ - ١٤٧ رقم ٢٣٩)، وأحمد في «المسند»: (٥ / ٤١١)، والحاثر ابن أبي أسامة كما في «زوائده»: (١ / ١٩٣ - ١٩٤ رقم ٥١)، من حديث: رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.

والحديث صححه الألباني في «الصحيحة»: (٦ / ٤٤٩ - ٤٥٢ رقم ٢٧٠٠)، وروي عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً، بنحوه.

«مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ» وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، «وَمَنْ عَصَانِي دَخَلَ النَّارَ»^(١) وَلَوْ كَانَ شَرِيفًا قُرَشِيًّا.

جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِدِينِ اللَّهِ ﷻ لِيُسَوِّيَ بَيْنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ.
وَكُلُّهُمْ عِبِيدُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكُلُّهُمْ عِبَادُهُ؛ يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
وَيَنْهَاهُمْ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَحْمِلُ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ، وَيَسِيرُ بِهَا فِي الْأَفَاقِ، يَدْعُو النَّاسَ إِلَى
دِينِ اللَّهِ ﷻ مُجَاهِدًا دُونَهُ، لَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسِيَّ النِّسَاءَ، وَلَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَقْتَلَ
الذُّرِّيَّةَ، وَلَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْتَأْصِلَ كُلَّ خَضِرَاءَ، وَلَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَضْرِبَ ضَرْبَ
عَشَوَاءَ، وَإِنَّمَا يَمْتَلِكُ الْقُوَّةَ الرَّشِيدَةَ الَّتِي تَحْمِي دِينَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالَّتِي
تَحْمِي الْمُبَلَّغِينَ لِذِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

لَيْسَ فِيهَا جَوْرٌ، وَلَا عَسْفٌ، وَلَا طُغْيَانٌ، وَلَا ظُلْمٌ، وَإِنَّمَا هِيَ الْقُوَّةُ الْعَادِلَةُ
الرَّحِيمَةُ، يَحْمِلُهَا الْمُسْلِمُونَ لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْقِيَمِ الْمُسْتَقِيمَةِ، وَأَصْحَابُ
الصِّرَاطِ الْقَوِيمِ، يَسِيرُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى هَدْيِ نَبِيِّهِمُ الْعَظِيمِ ﷺ.

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: (١٣ / ٢٤٩، رقم ٧٢٨٠)، من حديث: أبي هريرة
رضي الله عنه:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
وَمَنْ يَا أَبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

وللطبراني في «المعجم الأوسط»: (١ / ٢٤٦، رقم ٨٠٨)، من رواية: أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه، بلفظ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي دَخَلَ النَّارَ».

قَاتَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَقُوتِلَ، وَدَافَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَن دِينِ رَبِّهِ لَمَّا هُوَ جَمَ، وَحَمَلَ
الدِّينَ لِيُبَلِّغَهُ لِلْعَالَمِينَ، وَمَعَهُ الثَّلَاةُ الصَّالِحَةُ، وَأُوذِيَ وَمَنْ مَعَهُ؛ فَشَرَّدُوا،
وَطُرِدُوا، وَعَذَّبُوا، وَقُتِلُوا، وَحُوصِرُوا، وَجُوعُوا، وَسَلِكْتَ مَعَهُمْ مَسَالِكَ تَابَاهَا
النَّفْسُ الْكَرِيمَةُ، وَتَعَافَهَا الْفِطْرَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ.

فَلَمَّا مَلَكَ ﷺ الْأَمْرَ أَطْلَقَهُمْ، وَعَفَا عَنْهُمْ، وَلَمْ يَقُلْ يَوْمًا: يَا لثَارَاتِ مَكَّةَ،
وَلَمْ يَقُلْ يَوْمًا: يَا لثَارَاتِ أُحُدٍ، وَلَا بَدْرٍ، وَلَا شَيْءٍ، إِنَّمَا أَطْلَقَهُمْ؛ «عَسَى أَنْ
يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يُوحِّدُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ» (١).

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ دَاعِيًا إِلَى رَبِّهِ، أَجَابَ مَنْ أَجَابَ، وَعَصَى مَنْ عَصَى.

وَكَانَ مِيزَانَ الْعَدْلِ فِي الْأَرْضِ مَقْلُوبًا، فَعَدَلَهُ الدِّينُ الْحَقُّ، وَاسْتَقَامَتِ
الْأُمُورُ، وَوَادَعَ النَّبِيُّ ﷺ قُرَيْشًا، سَاقَ الْهَدْيِ، وَأَتَى مُحْرِمًا وَأَصْحَابَهُ يُلْبُونَ
لِكَيْ يَعْتَمِرُوا، وَلِكَيْ يَزُورُوا بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ الَّذِي لَا يُصَدُّ عَنْهُ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ تَبَعَ
مُحَمَّدًا ﷺ وَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ، ثُمَّ كَانَ مَا كَانَ.

وَوَادَعَ النَّبِيُّ ﷺ الْقَوْمَ، وَكَانَتِ الشُّرُوطُ جَائِرَةً، وَلَكِنَّهُ لَا يَمْضِي فِي أَمْرٍ إِلَّا
بِوَحْيٍ، وَكَانَ فَتْحًا مُؤَزَّرًا، وَكَانَ نَصْرًا مُبِينًا كَمَا وَصَفَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي كِتَابِهِ
الْعَظِيمِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١] هُوَ صَلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ، سَمَّاهُ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ، وَنَعْتَهُ بِالظَّاهِرِ وَالْمُبِينِ.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (٦/ ٣١٢ - ٣١٣، رقم ٣٢٣١)، ومسلم في

«الصحيح»: (٣/ ١٤٢٠ - ١٤٢١، رقم ١٧٩٥)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَحْتَاجُ الْمُوَادَعَةَ وَالهُدْنَةَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَفِيءَ الْقَوْمُ إِلَى عُقُولِهِمْ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى بَصَائِرِهِمْ وَضَمَائِرِهِمْ وَفِطْرِهِمْ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يُقَلِّبُوا الْمَسْأَلَةَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، مَاذَا يُرِيدُ مِنَّا؟ وَمَاذَا يُرِيدُ مِنَّا مِنْ مَعَهُ؟ وَمَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي جَاءَ بِهِ؟

وَقَدْ كَانَ؛ فَدَخَلَ فِي دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي سِتِّينَ عَدَدٌ يَزِيدُ عَلَى الدِّينِ دَخَلُوا الدِّينَ مُنْذُ دَعَا إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الْأَمِينُ.

وَفِي فَتْرَةِ الْمُوَادَعَةِ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ كُتُبَهُ، وَطَيَّرَ رَسَائِلَهُ إِلَى الْمُلُوكِ فِي الْأَرْضِ: ادْخُلُوا فِي دِينِ اللَّهِ!

لَا تَحُولُوا دُونَ النُّورِ وَأَقْوَامِكُمْ وَشُعُوبِكُمْ!

كُفُّوا عَنِ التَّضْلِيلِ!

وَانزِعُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ وَالْبُهْتَانِ!

آمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ: أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ، وَأَلَّا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

هَذِهِ هِيَ الْكَلِمَةُ السَّوَاءُ، فَسَرَّهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْآيَةِ نَفْسِهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو بِهَا الْمُلُوكَ، وَيُرْسِلُ بِهَا الْكُتُبَ، وَيَخْطُبُ بِهَا الرِّسَائِلَ، وَيَدْعُو بِهَا إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِلَى تَوْحِيدِهِ، وَهِيَ تَتَضَمَّنُ الدَّعْوَةَ إِلَى تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ.

الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِبَادُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَعَبِيدٌ.

هُوَ الَّذِي يُشْرِعُ لَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي يَحْكُمُ فِيهِمْ؛ لَا يَسْتَعْلِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَا يَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَا يَعْتَدِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَإِنَّمَا الْحُكْمُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ - وَهُوَ خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ، وَصَفْوَةُ النَّبِيِّينَ - لَمْ يُحَلَّ لَهُ رَبُّهُ الظُّلْمَ بِحَالٍ أَبَدًا، حَاشَا وَكَأَلَا، لَمْ يُبِحْهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِأَحَدٍ، كَيْفَ وَقَدْ حَرَّمَهُ عَلَى نَفْسِهِ؟! «إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا» (١).

فَالْإِسْلَامُ يَحْتَرِمُ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ وَلَوْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَيَحْتَرِمُ الْجَسَدَ الْإِنْسَانِيَّ وَلَوْ كَانَ مَقْتُولًا عَلَى الْكُفْرِ، فَإِنَّهُ يَنْهَى عَنِ الْمُثَلَّةِ عِنْدَمَا تَشْتَبِكُ الرَّمَاحُ، وَعِنْدَمَا تَشْتَابِكُ الْأَسِنَّةُ، وَعِنْدَمَا تُسَلُّ السُّيُوفُ لَامِعَةً، يَأْتِي النَّهْيُ عَنِ الْمُثَلَّةِ؛ لِأَنَّ حَامِلَ السَّيْفِ وَمُسَدِّدَ الرَّمْحِ لَا يَخْطُبُ بِهِ خَبْطَ عَشَوَاءَ.

وَإِنَّمَا هُوَ فَاعِلٌ بِذَلِكَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَلَى مِنْهَاجِ نَبِيِّنَا الْأَمِينِ ﷺ: «لَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَخُونُوا، وَلَا تَغْلُوا» (٢).

(١) أخرجه مسلم في «الصحیح»: (٤ / ١٩٩٤ - ١٩٩٥، رقم ٢٥٧٧)، من حديث: أَبِي ذَرٍّ

رضي عنه.

(٢) أخرجه مسلم في «الصحیح»: (٣ / ١٣٥٦ - ١٣٥٨، رقم ١٧٣١)، من حديث: بُرَيْدَةَ،

قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغزوا باسمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغزوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا...» الحديث، وقد تقدم نحوه من

رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

فَنَهَى عَنِ الْمُثَلَّةِ، نَهَى عَنِ أَنْ يُمَثَّلَ بِقَتِيلٍ، أَنْ تُشَوِّهَ صُورَتُهُ، أَوْ تُمَزَّقَ أَعْضَاؤُهُ، أَوْ يُعْبَثَ بِجُثَّتِهِ، فَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ امْتِهَانِ الْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَإِنْ كَانَ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْكَفْرِ، وَبَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ.

ثُمَّ يَأْمُرُ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَلَّا يَدْعُوا جُثَثَ الْكَافِرِينَ نَهَبًا لِجَوَارِحِ الطَّيْرِ وَسَبَاعِ الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا تُخَذُ لَهُمُ الْأَخَادِيدُ، ثُمَّ يُلْقَوْنَ فِيهَا، ثُمَّ يُهَالُ عَلَيْهِمُ التُّرَابُ؛ احْتِرَامًا لِذَلِكَ الْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ، وَإِنْ كَانَ قَدْ مَاتَ صَاحِبُهُ كَافِرًا، كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ طَوَاغِيَتِ قُرَيْشٍ الَّذِينَ قُتِلُوا بِبَدْرٍ، وَجِيءَ بِهِمْ فَجُعِلُوا فِي الْقَلْبِ، وَكَانَ جَافًا يَابِسًا، ثُمَّ أُهْيِلَ عَلَيْهِمُ التُّرَابُ، وَجُعِلَتْ عَلَيْهِمُ الْحِجَارَةُ.

النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُ بِعَدَمِ التَّمَثِيلِ بِالْقَتْلَى، وَيَأْمُرُ ﷺ بِأَنْ يُحْتَرَمَ الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ.

الْحَقُّ حَقٌّ، وَتَبْلِيغُهُ وَاجِبٌ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ بِحَدِّ السَّيْفِ وَالنَّصْلِ وَالرُّمْحِ. وَلَكِنْ، لَا بُدَّ فِي النِّهَايَةِ مِنْ إِقَامَةِ ذَلِكَ عَلَى قَانُونِ الْعَدْلِ وَالرُّشْدِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ص.

أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى بَنِي جَدِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، وَإِنَّمَا قَالُوا: صَبَانًا صَبَانًا! فَأَوْقَعَ بِهِمُ الْقَتْلَ، وَأَعْمَلَ فِيهِمُ السَّيْفَ، فَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ»^(١).

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: (٥٦/٨-٥٧، رقم ٤٣٣٩) و(١٣/١٨١، رقم

٧١٨٩)، من حديث: ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

لَمَّا أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدًا جَاءَ قَوْمًا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ بِدَعَايَةِ
الإسلام، لَيْسَ الْأَمْرُ مَبْنِيًّا عَلَى عَدْرِ، وَلَا تَبْيِيتِ بَلِيلٍ؛ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ دِينٍ، وَدَعْوَةٌ
إِلَى الرُّشْدِ وَالْحَقِّ الْمُبِينِ، فَإِذَا خُولِفَ فَلَا بُدَّ مِنْ إِقَامَةِ الْأَمْرِ عَلَى حَقِّهِ.

وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ يُعَادَ الْأَمْرُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، أَوْ إِلَى مَا يُقَارِبُهُ، ثُمَّ أَمَرَ
بِدَفْعِ الدِّيَةِ.

وَالْإِنْسَانُ يَحْتَرِمُ الْجَسَدَ الْإِنْسَانِيَّ، وَيَأْمُرُ عِنْدَ الْقَتْلِ خَطَأً بِدَفْعِ الدِّيَةِ، مَعَ
عَدَمِ وُجُودِ الْإِرَادَةِ الْفَاعِلَةِ لِسَفْكِ الدَّمِ وَإِزْهَاقِ الرُّوحِ.

وَلَكِنْ.. إِذَا وَقَعَ الْقَتْلُ، فَمَاذَا يَكُونُ؟ لَا بُدَّ مِنْ دِيَّةٍ مَعَ الْقَتْلِ الْخَطَأِ الَّذِي
لَمْ يَقْصِدْ صَاحِبُهُ قَتْلًا، وَلَمْ يَعْمِدْ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ يَحْتَرِمُ الْجَسَدَ الْإِنْسَانِيَّ
وَالرُّوحَ الْإِنْسَانِيَّةَ، لَا يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ عَلَى أَنَّهُمْ ذُبَابٌ، عَلَى أَنَّهُمْ مِنْ هَوَامِّ
الْأَرْضِ وَحَشَرَاتِهَا.

لَا يَنْظُرُ إِلَى جِنْسٍ يَعْلُو عَلَى جِنْسٍ بِنَظَرَةٍ فِيهَا احْتِرَامٌ.

هَذَا لَا قِيمَةَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ؛ لَا جِنْسٌ يَعْلُو عَلَى جِنْسٍ، وَلَا لَوْنٌ يَفُوقُ لَوْنًا،
وَلَا قَوْمِيَّةٌ فِي دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِبَادُ اللَّهِ وَعَبِيدُهُ، وَهُمْ تَحْتَ
مَشِيئَتِهِ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَكُلُّهُمْ مُكَلَّفُونَ بِعِبَادَتِهِ، وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ سَوَاءٌ.

فَدِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يَحْتَرِمُ الْأَعْدَاءَ هَذَا الْإِحْتِرَامَ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى دِينِ
الْإِسْلَامِ.

أَمَّا قَبْلَ الْحَرْبِ فَلَا بُدَّ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ: إِمَّا الْإِسْلَامَ، وَإِمَّا الْجَزِيَّةَ،
وَإِمَّا الْحَرْبَ، إِمَّا أَنْ تَدْخُلُوا فِي دِينِ اللَّهِ، وَإِمَّا أَنْ تَخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الشُّعُوبِ
الْمُنْهَكَةِ، الشُّعُوبِ الَّتِي ضَلَّتْ، الَّتِي حُرِفَتْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

إِمَّا أَنْ تَخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؛ نَدْعُوهُمْ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، وَنُنَشِّرُ فِيهِمْ هِدَايَتَهُ، وَنَحْمِيهِمْ وَنُدْفِعُ عَنْهُمْ.

وَمَعْلُومٌ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَمِصْرٍ، وَفِي كُلِّ جِيلٍ وَأُمَّةٍ، أَنَّهَا لَا تَقْبَلُ مُخَالَفًا فِي جِيُوشِهَا يَحْمِلُ رَايَتَهَا وَيُقَاتِلُ تَحْتَهَا، فَلَمْ يَقْبَلَهُمُ الْإِسْلَامُ مُدَافِعِينَ وَلَا مُهَاجِمِينَ وَلَا حَامِلِي سِلَاحٍ، وَإِنَّمَا وَضَعَ عَنْهُمْ الْإِصْرَ الَّذِي أَقْصَى مَصَاحِعَهُمْ، وَرَفَعَ عَنْهُمْ الْمِحْنَةَ الَّتِي سَاقَهَا إِلَيْهِمْ أَبْنَاءُ دِينِهِمْ فَعَذَّبُوهُمْ وَاضْطَهَدُوهُمْ، وَسَامُوهُمْ الْخَسْفَ وَأَذَلُّوهُمْ.

وَجَاءَ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ بِالرَّحْمَةِ وَفَرَضَ الْجِزْيَةَ، وَتُرْفَعُ عَنِ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ الْفَانِي الْمُنْقَطِعِ، وَعَنِ الضَّعِيفِ الَّذِي لَا يَمْلِكُ حَوْلًا وَلَا حِيلَةً، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْسِبَ رِزْقَهُ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ فِي الْإِمْكَانِ ظَاهِرًا.

وَالدَّلِيلُ قَائِمٌ عَلَى رَحْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَبُعْدُهُ كُلُّ الْبُعْدِ عَنِ الْإِبَادَةِ وَالْإِسْتِصَالِ.. أَنْكَ تَجِدُ فِي كُلِّ بَلَدٍ مَفْتُوحَةٍ إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا مَنْ بَقِيَ عَلَى دِينِهِ، لَمْ يُجْبِرْهُمْ الْمُسْلِمُونَ عَلَى اعْتِنَاقِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَلَمْ يَضْطَهَدُوهُمْ فِي أَرْضِهِمْ، وَإِنَّمَا قَامُوا بِحِمَايَتِهِمْ وَرَفَعَ الْإِصْرَ عَنْهُمْ، وَبَقُوا عَلَى دِينِهِمْ إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

أَسْعَدُ الْأَقْلِيَّاتِ هِيَ الْأَقْلِيَّاتُ الَّتِي تَحْيَا بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمُسْلِمِينَ، وَفِي دِيَارِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، أَسْعَدُ الْأَقْلِيَّاتِ الَّتِي تَنْعَمُ بِالْعَدْلِ، وَتَنْعَمُ بِالْحُرِّيَّةِ، وَتَنْعَمُ بِالْإِحْتِرَامِ، وَتَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ، وَتَخْرُجُ عَلَى كُلِّ أُطْرِ النَّظَامِ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهَا لَا تُقْتَلُ تَقْتِيلًا، وَلَا تُسْتَأْصَلُ اسْتِصَالًا..

أَسْعَدُ الْأَقْلِيَّاتِ هِيَ الْأَقْلِيَّاتُ الَّتِي تَحْيَا بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمُسْلِمِينَ، وَتَنَعَمُ بِحِمَايَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

وَعَلَّمَهُمُ الْمُسْلِمُونَ؛ عَلَّمُوهُمْ النِّظَافَةَ، عَلَّمُوهُمْ احْتِرَامَ الذَّاتِ، وَمَا فِيهِمْ مِنْ خَيْرٍ إِنَّمَا هُوَ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ تَعَالِيمِ الدِّينِ الْعَظِيمِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ.

لَمَّا فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ الْأَنْدَلُسَ لَمْ يُيَدُوا النَّاسَ، وَلَمْ يَقْتُلُوهُمْ؛ وَإِنَّمَا بَقِيَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ عَلَى دِينِهِ، وَدَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ دَخَلَ سَعِيدًا بِهِ، قَرِيرًا بِهِ عَيْنُهُ.

وَتَعَلَّمُوا، وَكَانُوا - قَبْلُ - يَرُونَ الطَّهَارَةَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَيَرُونَ الْإِعْتِسَالَ وَإِزَالَةَ النَّجَاسَاتِ عَمَلًا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُرْضِيَ الرَّحِيمَ الرَّحْمَنَ.

عَلَّمُوهُمْ، وَنَظَّفُوهُمْ، وَأَخَذُوا بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى صَارُوا عَلَى صِرَاطِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَدَخَلَ فِي الدِّينِ مَنْ دَخَلَ. (*)

النَّبِيُّ ﷺ بُعِثَ بِدِينِ السَّلَامِ، بِدِينِ الرَّحْمَةِ، بِالذِّينِ الْعَظِيمِ الَّذِي يُؤَلِّفُ وَيَجْمَعُ، وَلَا يُنْفِرُ وَلَا يُفَرِّقُ؛ هُوَ دِينُ الْحَقِّ، دِينُ اللَّهِ. (*) (٢).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «خِطَابٌ إِلَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ» - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤٣٠هـ / ٥-٦-٢٠٠٩م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «أَخْدَاتُ الْبُطْرُسِيَّةِ» - ١٧ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٨هـ / ١٦-١٢-٢٠١٦م.

رَحْمَةُ الْإِسْلَامِ بِالْعَالَمِ بِشَهَادَةِ الْغَرَبِيِّينَ

وَهَذِهِ شَهَادَاتٌ لِرِجَالٍ غَرَبِيِّينَ مُسْتَشْرِقِينَ بَاحِثِينَ فِي حَضَارَةِ الْإِسْلَامِ لَا يُشَكُّ فِي تَحِيَّزِهِمْ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّهُمْ يَنْطِقُونَ فِي ذَلِكَ بِالْحَقِّ، وَفِيهِمْ مَعَ ذَلِكَ مَا فِيهِمْ.

قَالَ (لِيبْرِي) فِي كِتَابِهِ «رُوحُ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ» (ص ٢٧٠): «وَالْمُنْصِفُ مِنَ الْغَرَبِيِّينَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَظْهَرْ الْعَرَبُ عَلَى مَسْرَحِ التَّارِيخِ لَتَأَخَّرَتْ نَهْضَةُ أَوْرُوبَا الْحَدِيثَةِ عِدَّةَ قُرُونٍ».

وَهَذِهِ شَهَادَةُ الْمُسْتَشْرِقِ الْغَرَبِيِّ (جُوسْتَا فِ لُوبُون)؛ الَّذِي تَمَنَّى لَوْ أَنَّ الْعَرَبَ اسْتَوْلَوْا عَلَى فَرَنْسَا لَتَعْدُوا بَارِيسُ مِثْلَ قُرْطُبَةَ فِي إِسْبَانِيَا، مَرْكَزًا لِلْحَضَارَةِ وَالْعِلْمِ، حَيْثُ كَانَ رَجُلُ الشَّارِعِ فِي قُرْطُبَةَ يَكْتُبُ وَيَقْرَأُ وَيَقْرِضُ الشُّعْرَ أَحْيَانًا، فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ فِيهِ مُلُوكُ أَوْرُوبَا لَا يَعْرِفُونَ كِتَابَةَ أَسْمَائِهِمْ وَيَبْصِمُونَ بِأَخْتَامِهِمْ.

وَيُضِيفُ (لُوبُون) -سَاخِرًا مِمَّنْ يُقَارِنُ الْعَرَبَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعُصُورِ الْوُسْطَى بِالْأَوْرُوبِيِّينَ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ-: «قَدْ كَانَ الْوَضْعُ عَلَى عَكْسِ الْوَقْتِ الْحَاضِرِ تَمَامًا؛ الْعَرَبُ هُمْ الْمُتَحَضِّرُونَ وَالْأَوْرُوبِيُّونَ هُمْ الْمُتَخَلِّفُونَ، وَلَا

أدّل على ذلك من أننا - هذا كلامه - نسمي تاريخ أوروبا في ذلك الوقت: العصور المظلمة.

إن العهد الذهبي لأمتنا الإسلامية كان فيما سمي بالعصور الوسطى؛ حيث كان الكتاب يوزن بالذهب، وحينما ملك أجدادنا ناصية العلم ملكوا ناصية العالم.

لذلك قال (نيكلسون): «وما المكتشفات اليوم لتعدّ شيئاً مذكوراً بالقياس إلى ما ندين به للرواد المسلمين الذين كانوا قبساً مضيئاً لظلام العصور الوسطى في أوروبا».

ولذلك - أيضاً - قال (هالميرد) في كتابه «الكيمياء حتى عصر نيوتن - في الصفحة العاشرة»، بعد أن عدد فضل المسلمين في التطبيقات العلمية للكيمياء العملية قال: «لكل هذه الخبرات التي حققها لنا الباحثون المسلمون دعنا نقدم فروض الولاء والتقدير لاتباع محمد ﷺ».

يقول (جيبون) في كتابه عن «اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية»: «من الطبيعي - ونزولاً على مقتضيات قانون الطبيعة التي لا جدال فيها - أن لكل شخص الحق في أن يدافع عن نفسه، وأن يدافع عن ممتلكاته، وأن تصل مقتضيات دفاعه عن نفسه إلى كل الآفاق المعقولة التي توفر له الأمن والأمان والقدرة على ردّ الأعداء عن موطنه».

إِنَّ جِهَادَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَنْتِصَارَهُ عَلَى جُيُوشِ أَعْدَائِهِ الْكَافِرِينَ الْأَشْرَارِ
قَدْ جَعَلَتْ مُحَرَّرِي «دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْبَرِيطَانِيَّةِ» يُعْلِنُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ أَعْظَمُ
الشَّخْصِيَّاتِ الدِّينِيَّةِ نَجَاحًا فِي التَّارِيخِ.. فَهَذَا كَلَامُهُمْ.

كَيْفَ يَحِقُّ -إِذَنْ- لِخُصُومِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَعْتَبِرُوا أَنَّ انْتِصَارَاتِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَمْ
يَكُنْ لَهَا أَيُّ هَدَفٍ أَوْ أَيُّ قِيَمَةٍ سِوَى أَنَّهُمَا قَدْ آتَاكَ لَهُ أَنْ يَنْشُرَ دِينَهُ الْإِسْلَامِيَّ
اعْتِمَادًا عَلَى السَّيْفِ، وَغَلْبَةِ الْجُيُوشِ وَالرَّمَاكِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ السَّلَاحِ!؟

هَلْ فَرَضَ مُحَمَّدٌ ﷺ الْإِسْلَامَ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ بِأَنْ قَطَعَ رِقَابَ النَّاسِ!!؟
الْمُسْلِمُونَ كَثُرُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَا أَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَوْلَادِ
الْأَرْضِ الْمَفْتُوحَةِ وَالْبِلَادِ الَّتِي دَخَلَتْ فِي دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ!!

فَكَيْفَ يُقَالُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَرَضَ الْإِسْلَامَ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ بِقَطْعِ رِقَابِ
النَّاسِ!؟

يَقُولُ (دي لاسي أوليري) مَا نَصُّهُ: «إِنَّ التَّارِيخَ يُؤَكِّدُ بِمَا لَا يَدْعُ مَجَالًا لِأَيِّ
شَكٍّ أَنْ خُرَافَةَ الْاجْتِيَاكِ الْبَرْبَرِيَّ لِمْسَاحَاتِ شَاسِعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِجْبَارِ النَّاسِ
عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ بِقُوَّةِ السَّلَاحِ فَوْقَ رِقَابِ الشُّعُوبِ الْمَغْلُوبَةِ عَلَى
أَمْرِهَا.. إِنَّمَا هِيَ خُرَافَةٌ خَيَالِيَّةٌ مُضْحِكَةٌ عَارِيَةٌ تَمَامًا مِنَ الصَّحَّةِ، وَبَعِيدَةٌ كُلُّ
الْبُعْدِ عَنِ الْحَقِيقَةِ عَلَى نَحْوِ نَادِرِ الْمِثَالِ فِي دُنْيَا التَّارِيخِ، وَفِي عَالَمِ الْمُؤَرِّخِينَ».

كِتَابُ «الْإِسْلَامُ فِي مُفْتَرِقِ الطَّرِيقِ» - لِدي لَاسِي أوليري، طَبَعَةُ لَنْدُن سَنَةِ

وَلَسْنَا بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ نَكُونَ مُؤَرِّخِينَ مِثْلَ (أُولِيرِي) لِكَيْ نَعْرِفَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا قَدْ حَكَمُوا إِسْبَانِيَا لِمُدَّةِ سِتَّةِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةِ عَامٍ، وَبَعْدَ قُرَابَةِ ثَمَانِيَةِ قُرُونٍ تَمَّ إِقْصَاءُ وَابْتِعَادُ الْمُسْلِمِينَ عَنِ إِسْبَانِيَا؛ بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ فِيهَا مُسْلِمٌ وَاحِدٌ يُقِيمُ الْأَذَانَ مُعَلِّناً وَجُوبَ صَلَاةٍ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ الْمَفْرُوضَاتِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ.

وَلَوْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ اسْتَحْدَمُوا الْقُوَّةَ عَسْكَرِيًّا وَاقْتِصَادِيًّا فِي إِسْبَانِيَا بَعْدَمَا فَتَحُوهَا لَمَا بَقِيَ فَوْقَ أَرْضِ إِسْبَانِيَا أَيُّ نَصْرَانِيٍّ لِيَقُومَ بَعْدَ ذَلِكَ بِطَرْدِ الْمُسْلِمِينَ خَارِجَ إِسْبَانِيَا.

رُبَّمَا يَجُوزُ أَنْ يَصِفَ الْإِنْسَانُ -لَوْ شَاءَ- الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّهُمْ قَدْ اسْتَفَادُوا مِنْ خِبْرَاتِ وَثَرَوَاتِ الْبِلَادِ الَّتِي فَتَحُوهَا، وَلَكِنْ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَتَّهَمَهُمْ أَحَدٌ بِأَنَّهُمْ قَدْ اسْتَحْدَمُوا السَّيْفَ لِكَيْ يُحَوَّلُوا الْإِسْبَانِيِّينَ إِلَى مُسْلِمِينَ يَعْتَنِقُونَ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ خَوْفًا مِنْ سُيُوفِ الْمُسْلِمِينَ.

يَقُولُ (بَانْدُكْت جِيَانَا نِيْتِرَا دِيْب شَاسْتِرِي) فِي أَثْنَاءِ لِقَاءٍ تَمَّ عَقْدُهُ فِي جُورَافُورِ بِالْهِنْدِ سَنَةَ (ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ ١٩٢٨ م)، يَقُولُ:

«إِنَّ مُتَقَدِّمِي مُحَمَّدٍ ﷺ يَرُونَ النَّارَ بَدَلًا مِنْ أَنْ يُشَاهِدُوا النُّورَ، وَيَسْتَسِيغُونَ الْقُبْحَ بَدَلًا مِنَ الْإِسْتِمْتَاعِ بِالْجَمَالِ، إِنَّهُمْ يُخْرَفُونَ، وَيَعْتَبِرُونَ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَمِيزَةٍ وَكَأَنَّهَا رَذِيلَةٌ مُسْتَهْجَنَةٌ؛ إِنَّ ذَلِكَ إِنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ مَحْرُومُونَ مِنْ نِعْمَةِ التَّمْيِيزِ وَحُسْنِ الْإِدْرَاكِ.

إِنَّ مُتَّقِدِي مُحَمَّدٍ ﷺ إِنَّمَا هُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُمَيَّانِ - كَلَامُهُ - إِنَّهُمْ لَا يُدْرِكُونَ أَنَّ السَّيْفَ الْوَحِيدَ الَّذِي شَهَرَهُ وَشَرَعَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ إِنَّمَا كَانَ هُوَ سَيْفُ الرَّحْمَةِ وَسَيْفُ التَّعَاطُفِ وَالصَّدَاقَةِ وَالتَّسَامُحِ، إِنَّهُ السَّيْفُ الَّذِي يَهْزِمُ الْأَعْدَاءَ وَيُنْظِفُ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْغَضَبِ وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْكَرَاهِيَّةِ.

لَقَدْ كَانَ سَيْفُهُ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ الْمَصْنُوعِ مِنَ الْحَدِيدِ الصُّلْبِ، لَقَدْ فَضَّلَ مُحَمَّدٌ ﷺ الْهَجْرَةَ عَلَى قِتَالِ أَبْنَاءِ بَلَدِهِ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا تَجَاوَزَ الْعُدْوَانَ كُلَّ حُدُودِ إِمْكَانَاتِ التَّسَامُحِ امْتَشَقَ سَيْفَهُ دِفَاعًا عَنِ نَفْسِهِ.

وَأَوْلِيكَ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَيَّ دِينٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَتِمَّ نَشْرُهُ بِالسَّيْفِ إِنَّهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحَمَقِيِّ، لَا يَعْرِفُونَ الطَّرُقَ السَّلِيمَةَ لِنَشْرِ الدِّينِ، وَلَا يَعْرِفُونَ فِيمَا تُسْتَعْدَمُ السُّيُوفُ، وَلَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا مِنْ شُؤُونِ الدُّنْيَا بِوَجْهِ عَامٍّ، إِنَّهُمْ مَزْهُوُونَ فِي هَذَا الْإِعْتِقَادِ الْخَاطِئِ؛ لِأَنَّهُمْ بَعِيدُونَ عَنِ الْحَقِّ بِمَسَافَاتٍ كَبِيرَةٍ شَاسِعَةٍ.

قَالَ هَذَا الْكَلَامَ صَحْفِيٌّ مِنْ طَائِفَةِ السَّيْخِ فِي جَرِيدَةٍ تَصُدِّرُ فِي دِلْهِ فِي ١٧ مِنْ نُوْفَمْبَرِ سَنَةِ ١٩٤٧ م. (*)

لَقَدْ احْتَرَمَ الْإِسْلَامُ إِنْسَانِيَّةَ الْخَلْقِ، وَلَمْ يُرْفَعِ السَّيْفُ إِلَّا لِأَجْلِ إِزَاحَةِ الْأَنْظُمَةِ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَ الشُّعُوبِ وَسَمَاعِ كَلِمَةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا لِتُعْمَدَ السُّيُوفُ فِي قُلُوبِ أَفْرَادِ الشُّعُوبِ الْمَفْتُوحَةِ؛ لِذَلِكَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «بَلِ انْتَصَرَ الْإِسْلَامُ عَلَى السَّيْفِ» - الْجُمُعَةُ ٦ مِنْ رَمَضَانَ

أَفْوَاجًا بِلَا ضَغْطٍ كَانَ.

إِنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ دِينُ الرَّحْمَةِ.

إِنَّ هَذَا الدِّينَ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى حَسَبِ الْأَعْرَاقِ، وَلَا عَلَى حَسَبِ
أَلْوَانِ بَشَرَاتِهِمْ.

لَا يُفَرِّقُ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى حَسَبِ مَوَاطِنِهِمْ، وَإِنَّمَا الْإِكْرَامُ
وَالتَّكْرِيمُ عَلَى حَسَبِ التَّقْوَى، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]،
وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا.

فَدِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يُقَدِّمُ مَنْ تَمَلَّكَ الْمُؤَهَّلَاتِ وَالْمَقُومَاتِ الَّتِي تُقَدِّمُهُ،
لَا يَنْظُرُ إِلَى لَوْنٍ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى بَلَدٍ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى قَوْمِيَّةٍ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْإِسْلَامُ رَحْمَةٌ فِي السَّلْمِ وَالْحَرْبِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ صَفَرٍ

عِشُوا بِالْوَحْيِ تَسْعُدُوا!

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ الْوَحْيَ هُوَ نُورُ الْعَالَمِ وَحَيَاتُهُ وَهَدَايَتُهُ، وَعَلَى قَدْرِ تَمَسُّكِ الْإِنْسَانِ بِهَذَا النُّورِ وَالْحَيَاةِ وَالْهُدَى يَكُونُ تَحْقِيقُهُ لِلْقَصْدِ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَنَا لِغَايَةٍ، وَهَذِهِ الْغَايَةُ مُبَيَّنَةٌ فِي الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ، وَإِذَا مَا عَاشَ النَّاسُ بِهَذَا الْوَحْيِ سَعِدُوا فِي الْحَيَاةِ، وَتَجَنَّبُوا سُبُلَ الشَّقَاءِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَلَا حَيَاةَ لِهَذَا الْعَالَمِ إِلَّا بِأَنْ يَتَمَسَّكَ بِالْوَحْيِ.

الشَّيْطَانُ فِي مَعْرَكَتِهِ مَعَ الْإِنْسَانِ حَرِيصٌ تَمَامَ الْحَرِصِ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ عَائِشِينَ بِنَقِيضِ الْوَحْيِ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا وَحِيٌّ وَإِمَّا نَقِيضُهُ، فِيمَا أَنْ تَحْيَا بِالْوَحْيِ، وَإِمَّا أَنْ تَحْيَا بِنَقِيضِ الْوَحْيِ.

أَمَّا مَنْ اتَّبَعَ الْوَحْيَ؛ فَهُوَ مُتَّبِعٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلِرَسُولِهِ، وَأَمَّا مَنْ فَارَقَ الْوَحْيَ فَهُوَ مُتَّبِعٌ لِلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا وَحِيٌّ وَإِمَّا نَقِيضُ الْوَحْيِ.

وَالَّذِي يُرِيدُهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَّا هُوَ: «أَنْ نَحْيَا بِالْوَحْيِ»، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ مَعْنَاهَا الصَّحِيحَ، وَجَعَلْتَهُ فِي حَيَاتِكَ نِبْرَاسًا وَمِنْهَاجًا، وَحَقَّقْتَهُ فِي ذَاتِكَ وَفِي رُوحِكَ وَفِي نَفْسِكَ وَفِي جَسَدِكَ وَفِي مَنْ حَوْلِكَ.. هَذِهِ الْجُمْلَةُ تُورِثُكَ السَّعَادَةَ دُنْيَاً وَآخِرَةً، وَتُجَنِّبُكَ الشَّقَاءَ وَالتَّعَاسَةَ دُنْيَاً وَآخِرَةً؛ وَهِيَ: «عِشْ بِالْوَحْيِ».

يَقُولُ سُفْيَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَحُكَّ جِلْدَكَ بِظُفْرِكَ إِلَّا بِأَثَرٍ وَسُنَّةٍ فافْعَلْ» (١).

مَعْنَى هَذَا: أَنْ تَكُونَ عَائِشًا بِالْوَحْيِ..

مَاذَا قَالَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ؟

وَمَاذَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ فِي هَذَا الشَّأْنِ؟

ثُمَّ تَتَّبِعْ ذَلِكَ، إِنْ جَانَبْتَهُ فَانْتَ عَائِشٌ بِنَقِيضِ الْوَحْيِ.

النَّبِيُّ ﷺ أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِكُلِّ مَا يَنْفَعُنَا - يَأْمُرُنَا بِهِ - مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَأُمُورِ الدِّينِ، وَأَرْسَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُحَدِّثًا وَمُنذِرًا مِنْ اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَمِنْ اتِّخَاذِ سُبُلِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْهَجًا وَطَرِيقًا وَسَبِيلًا.

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا فِيهِ سَعَادَةٌ الْعَبْدِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَمِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ.

قَدْ قِيلَ لِسَلْمَانَ - قَالَ لَهُ حَبْرٌ يَهُودِيٌّ -: قَدْ عَلَّمَكُم نَبِيَّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةِ؟!.

يَعْنِي: حَتَّى كَيْفَ يَقْضِي الْإِنْسَانُ حَاجَتَهُ.

فَقَالَ: «أَجَلْ؛ لَقَدْ نَهَاَنَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ» (٢).

(١) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي»: (١/١٤٢، رقم ١٧٤)، بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح»: (١/٢٢٣، رقم ٢٦٢)، من حديث: سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ كَيْفَ يَقْضِي الْإِنْسَانُ حَاجَتَهُ، أَفَيَبِينُ هَذَا وَيَتْرُكُ مَا هُوَ
فَوْقَهُ مِنْ أُمُورِ الْإِعْتِقَادِ، وَمِنْ أُمُورِ الْعِبَادَةِ، وَمِنْ أُمُورِ الْمُعَامَلَةِ، وَمِنْ أُمُورِ
الْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ؟!!

هَذَا مِمَّا لَا يَقْبَلُهُ عَقْلٌ!!

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا يَنْفَعُنَا فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَكُلَّمَا
اسْتَكْتَرَ الْمَرْءُ مِنْ مَعْرِفَةٍ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ زَادَ فَلَاحُهُ وَقَلَّ طَلَاحُهُ، وَازْدَادَ
خَيْرُهُ وَانْتَفَى شَرُّهُ.

وَهَذَا كَمَا يَكُونُ كَذَلِكَ، فَعُكْسُهُ عَلَى عَكْسِهِ وَضِدَّهُ؛ كُلَّمَا ابْتَعَدَ الْإِنْسَانُ عَنِ
الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ إِلَى زُبَالَاتِ الْأَفْكَارِ، وَإِلَى قِمَامَاتِ الْأَرَءِ، وَإِلَى مَا يَأْخُذُ بِهِ
النَّاسُ مِنْ مَوَاضِعَاتِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ وَمُعْتَقَدَاتِهِمْ مِمَّا تَرَبَّوْا عَلَيْهِ وَلَمْ يَرَا جِعُوهُ،
لِأَنَّهَمْ لَمْ يَتَلَقَّوْهُ تَلَقِّيًّا صَحِيحًا، وَلَمْ يَتَعَلَّمُوا الدِّينَ تَعَلِيمًا مُنْظَمًا، فَمَا عِنْدَهُمْ
مَحْضٌ تَشْوِيشٍ، يَأْخُذُ مِنْ هَاهُنَا عِبَارَةً وَمِنْ هَاهُنَا حُكْمًا، وَدِينُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
كَالْجَسَدِ الْحَيِّ.

جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ الْحَيِّ رَأْسًا وَجِذْعًا وَأَطْرَافًا، وَجَعَلَ
اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْعَيْنَيْنِ مَوْضِعَهُمَا، وَلِلْأُذُنَيْنِ فِي الرَّأْسِ مَوْضِعَهُمَا، وَجَعَلَ
الْإِنْسَانَ قَائِمًا عَلَى طَرَفِيهِ السُّفْلِيِّينَ، وَجَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ.

لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا تَصَوَّرَ أَنَّهُ يُعِيدُ هَذَا التَّشْكِيلَ فِي كَائِنِ إِنْسَانِيٍّ؛ فَيَجْعَلُ عَيْنَيْهِ فِي
قَفَاهُ، وَيَجْعَلُ أُذُنَيْهِ فِي أَعْلَى رَأْسِهِ، وَيَجْعَلُ طَرَفِيهِ الْعُلْوِيِّينَ فِي مَكَانِ طَرَفِيهِ

السُّفْلِيِّينَ وَبِالْعَكْسِ، لَوْ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ مَا تَحَصَّلَ عَلَى كَائِنٍ يُمَكِّنُ أَنْ يُؤَدِّيَ أَدَاءً صَحِيحًا أَيَّ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي بِهَا حَيَاتُهُ وَمَعَاشُهُ.

فَكَمَا جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذَا الْإِنْسَانَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ الْبَدِيعِ مِنَ التَّسْوِيَةِ؛ خَلَقَهُ فَسَوَّاهُ فَعَدَلَهُ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَبُّهُ، كَذَلِكَ الشَّأْنُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

فِي الْإِسْلَامِ مَا هُوَ مِثْلُ الْقَلْبِ فِي الْإِنْسَانِ، وَفِي الْإِسْلَامِ مَا هُوَ مِثْلُ الْمُخِّ فِي الْكَائِنِ الْإِنْسَانِيِّ، وَمَا هُوَ مِثْلُ الْعَيْنَيْنِ، وَلِكُلِّ عَضْوٍ مِنْ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ فِي الْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ قِيمَتُهُ وَوَضِيفَتُهُ، وَلَا يُقَدَّمُ عَلَى مَا هُوَ فَوْقَهُ بِالْقِيمَةِ وَبِالْوَضِيفَةِ، فَمَثَلًا: لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُقَارَنَ الْعَيْنُ بِالظُّفْرِ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَارَنَ الْإِنْسَانُ الْقَلْبَ بِالشَّعْرِ، فَكُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لَا مُقَارَنَةَ لَهَا، كَذَلِكَ فِي الدِّينِ.

النَّاسُ -أَحْيَانًا- يَتَمَسَّكُونَ بِمَا يَسَاوِي قُلَامَةَ الظُّفْرِ فِي الْإِنْسَانِ الْحَيِّ، وَيَتْرَكُونَ مَا يُوَازِي الْقَلْبَ وَالرُّوحَ وَالْعَقْلَ وَالنَّفْسَ؛ لِأَنَّهُمْ يَخْلِطُونَ، وَهَذَا مَعِيبٌ جَدًّا؛ لِأَنَّهُمْ يَتَحَصَّلُونَ فِي النِّهَايَةِ عَلَى إِسْلَامٍ مُشَوَّشٍ مُشَوَّهٍ، لَيْسَ هُوَ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ خَلْقِهِ.

فَكَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْيَا بِقَلْبِهِ، وَالْقَلْبُ مَلِكُ هَذَا الْجَسَدِ الْإِنْسَانِيِّ، وَالْأَعْضَاءُ كُلُّهَا كَأَنَّهَا هِيَ مِنْ جُنُودِهِ تَأْتِمُرُ بِأَمْرِهِ، كَذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ قَلْبُهُ وَرُوحُهُ وَحَقِيقَتُهُ: تَوْحِيدُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَمَنْ لَمْ يُحَقِّقْ هَذَا وَأَخَذَ بِمَا هُوَ دُونَهُ، فَهُوَ تَمَامًا كَالَّذِي يُقَدَّمُ الظُّفْرَ عَلَى الْقَلْبِ، الشَّعْرَ عَلَى الْمُخِّ وَالْعَقْلَ!! فَهَذَا يَأْتِي بِشَيْءٍ مُشَوَّهٍ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَّظَمَ مِنْهُ

مَا يَنْفَعُهُ لَا دُنْيَا وَلَا آخِرَةً.

لِذَلِكَ بَدَأَ كُلُّ نَبِيٍّ وَكُلُّ رَسُولٍ قَوْمَهُ بِأَنْ يَأْمُرَهُمْ بِأَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:
﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]؛ فَبَدَأَ بِهَذَا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا أَرْسَلَ مُعَاذًا إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ دِينَ اللَّهِ
جَلَّ وَعَلَا، وَأَنْ يَدْعُوَ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ مِنْهُمْ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ، قَالَ:

«إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةٌ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ - لَا تَبْدَأُ بِمَا هُوَ قَبْلَ هَذَا الْأَصْلِ الْأَصِيلِ -.

فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ
خَمْسَ صَلَوَاتٍ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ وَأَطَاعُوكَ فِيهِ؛ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ
عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَاءِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ.

قَالَ: وَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ
حِجَابٌ»^(١).

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: (٣ / ٣٢٢، رقم ١٤٥٨) و(١٣ / ٣٤٧، رقم ٧٣٧٢)،

ومسلم في «الصحیح»: (١ / ٥١، رقم ١٩)، من حديث: ابن عباس:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ،
فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ ﷻ...» الحديث.

وفي رواية لهما: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ...»، وللبخاري: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ
تَعَالَى...».

فِي الْحَدِيثِ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَلَكِنَّ الَّذِي نُرِيدُهُ هَاهُنَا - وَكُلُّ الْحَدِيثِ مُرَادٌ - هُوَ قَوْلُهُ: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ؛ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ».

وَ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» هِيَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ، لِأَجْلِهَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَلِأَجْلِهَا قَامَتِ الْمَعْرَكَةُ بَيْنَ جُنْدِ الرَّحْمَنِ وَجُنْدِ الشَّيْطَانِ.

مِنْ أَجْلِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، مِنْ أَجْلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أَنْزَلَ اللَّهُ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ، مِنْ أَجْلِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» يُقِيمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى السَّاعَةَ، وَتُنصَبُ الْمَوَازِينُ، وَتَتَطَايَرُ الصُّحُفُ، فَأَخِذْ بِبَيْمِينِهِ، وَأَخِذْ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ.

مِنْ أَجْلِهَا يُضْرَبُ الصِّرَاطُ عَلَى مَتْنٍ - أَيْ: عَلَى ظَهْرِ - النَّارِ؛ فَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَنَاجٍ يَطِيرُ طَيْرَانًا، وَنَاجٍ كَالْبَرْقِ، وَنَاجٍ كَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَنَاجٍ يَعْدُو عَدْوًا، وَنَاجٍ عَلَى الصِّرَاطِ يَحْبُو حَبْوًا، وَنُورُهُ فِي إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفَأُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ تَحَرَّكَ، وَإِذَا مَا أُطْفِئَ وَقَفَ، وَالنَّارُ تَحْتَهُ.

وَعَلَى جَانِبِي الصِّرَاطِ كَاللَّيْبِ مِنْ حَدِيدٍ مَعْقُوفٍ - الْكَلْبُوبُ: هُوَ الْحَدِيدَةُ الَّتِي يُنْشَلُ بِهَا اللَّحْمُ -، فَعَلَى جَانِبِي الصِّرَاطِ كَاللَّيْبِ تَخْطِفُ النَّاسَ خَطْفًا عَلَى حَسَبِ مَا أَتَوْا بِهِ مِنَ الْمَعَاصِي؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُهَذَّبُوا، وَأَنْ يُنْقَوُوا وَأَنْ يُطَهَّرُوا؛ لِأَنَّ الْجَنَّةَ هِيَ دَارُ الطَّيِّبِ الْمُحْضِرِ، هِيَ دَارُ السَّلَامِ، هِيَ بَيْتُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْأَخِرَةِ، يَأْوِي إِلَيْهَا كُلُّ طَيِّبٍ، فَلَا يَدْخُلُهَا إِلَّا الطَّيِّبُ الْمُحْضِرُ.

فَمَنْ خَلَطَ؛ فِيمَا أَنْ يُعَذِّبَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِتَخْلِيْطِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُهَذَّبَ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يُصَفَّى، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يَعُودَ طَيِّبًا مَحْضًا؛ لِيُجَاوِرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي جَنَّتِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَعْفُو اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ حَتَّى يَصِيرَ مُطَهَّرًا.

فَمِنْ أَجْلِ هَذَا كُلِّهِ خَلَقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْخَلْقَ، وَآتَى بِهِذَا كُلِّهِ مِنْ أَمْرِهِ وَخَلْقِهِ؛ مِنْ أَجْلِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَهِيَ أَوَّلُ مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَكَانَ يَدُورُ عَلَى النَّاسِ فِي الْأَسْوَاقِ وَفِي مُتَدَيَاتِهِمْ يَقُولُ لَهُمْ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.. تَفْلِحُوا»^(١).

وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَعْلَمُ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَلَا نَجَاةَ لَهُ إِلَّا بِعِلْمِ مَعْنَاهَا، وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا، وَالْإِتْيَانِ بِشُرُوطِهَا، وَاجْتِنَابِ نَوَاقِضِهَا. فَإِذَا كَانَ لَا يَعْلَمُ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ فَكَيْفَ يَعْمَلُ بِمُقْتَضَى مَا هُوَ بِهِ جَاهِلٌ؟! وَكَيْفَ يُحَقِّقُ شُرُوطَ مَا لَا يَعْلَمُهُ؟! وَكَيْفَ يَجْتَنِبُ نَوَاقِضَ شَيْءٍ لَا يَدْرِي عَنْهُ شَيْئًا؟!

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٤ / ٦٣ و ٣٤١)، بإسناد صحيح، عن ربيعة بن عباد الديلمي وكان جاهلياً أسلم، قال:

سَمِعْتُ رَجُلًا فِي سُوقِ عُكَاطٍ - وَفِي رِوَايَةٍ: فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ - يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.. تَفْلِحُوا»، وَرَجُلٌ يَتَّبِعُهُ يَقُولُ: «إِنَّ هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَصُدِّكُمُ عَنْ آلِهَتِكُمْ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو جَهْلٍ. وَفِي رِوَايَةٍ: وَأَبُو لَهَبٍ.

والحديث جَوَدَ إِسْنَادُهُ الْأَلْبَانِي فِي هَامِشِ «صَحِيحِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ»: (ص ١٤٢ - ١٤٣)، وله شاهد من رواية طَارِقِ الْمُحَارِبِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَعْلَمَ الْإِنْسَانُ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَصْرِفَ الْإِنْسَانُ كُلَّ أَلْوَانِ الْعِبَادَةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ لِلَّهِ، لِأَنَّ لِلْقَلْبِ عِبَادَاتٍ مِنَ الْخَوْفِ، وَالْحُبِّ، وَالْخُشُوعِ، وَالرَّجَاءِ، وَالْإِنَابَةِ.. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِعِبَادَاتِ الْقُلُوبِ.

وَلِللِّسَانِ عِبَادَاتُهُ؛ مِنَ الذِّكْرِ وَالتَّلَاوَةِ وَمَا أَشْبَهَهُ، كَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وَلِلْجَوَارِحِ -أَيْضًا- عِبَادَاتُهَا، فَإِذَا أَتَى الْإِنْسَانُ بِشَيْءٍ مِنْ أَلْوَانِ الْعِبَادَةِ صَارِفُهُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَهُ.. خَلَقَهُ وَحْدَهُ، لَمْ يُشَارِكْهُ أَحَدٌ فِي خَلْقِهِ، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَرْزُقُهُ، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَكَلِّمُهُ وَيَحْفَظُهُ.

وَالْإِنْسَانُ فِي الْحَيَاةِ لَوْ أَنَّهُ كَانَ مُنْصِيفًا؛ لَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَبَدًا وَلَا يَجْمَلُ أَنْ يَصْرِفَ شَيْءٌ مِنْ أَلْوَانِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرْضَى مِنْ خَادِمِهِ فَضْلًا عَنْ عَبْدِهِ الَّذِي يَمْلِكُهُ، لَا يَرْضَى الْإِنْسَانُ مِنْ أَجِيرٍ عِنْدَهُ أَنْ يَأْكُلَ خَيْرَهُ وَأَنْ يَخْدُمَ غَيْرَهُ.

يَعْنِي: لَوْ أَنَّكَ اسْتَأْجَرْتَ إِنْسَانًا عَلَيَّ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْكَ عَمَلًا -مَنْفَعَةً- فِي نَظِيرِ أَجْرٍ، فَكَانَ أَجِيرًا عِنْدَكَ فِي عَمَلٍ بِذَاتِهِ لِقَاءَ مَا اتَّفَقْتُمَا عَلَيْهِ، فَأَخَذَ مِنْكَ الْمَالَ، وَأَخَذَ يَعْمَلُ لِغَيْرِكَ، ثُمَّ جَاءَ آخِرَ النَّهَارِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَقُولَ لَكَ قَدْ أَدَيْتُهُ، إِنْ لَمْ يَكُنْ أَخَذَ أَجْرَهُ فَهُوَ يُطَالِبُكَ بِأَجْرِهِ، أَنْتَ لَنْ تَقْبَلَ مِنْهُ ذَلِكَ!!

فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خَلَقَكَ، وَأَنْتَ تَرْضَى لِرَبِّكَ مَا لَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ مِنْ
أَجِيرِكَ وَمِنْ وَلَدِكَ!!

فَأَنْتَ لَا تَقْبَلُ مِنْ وَلَدِكَ أَنْ يَأْكُلَ خُبْزَكَ وَأَنْ يَعْصِي أَمْرَكَ، وَتَشْكُوهُ إِلَى
جَمِيعِ النَّاسِ، تَقُولُ: يَعْصِينِي، وَهُوَ وَلَدٌ عَاقٌ لَا بَرَّ فِيهِ، وَأَنَا أُنْفِقُ، وَأَفْعَلُ وَأَفْعَلُ،
وَأَكْلًا وَأَحْفَظُ، وَقَدْ رَبَّيْتُ وَكَبَّرْتُ.. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَسْمَعُهُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ
النَّاسِ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِينَا أَجْمَعِينَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

فَلَا تَقْبَلُ مِنْ وَلَدِكَ أَنْ يَأْكُلَ خُبْزَكَ وَأَنْ يَعْصِي أَمْرَكَ، وَأَنْ يَكُونَ مَعَكَ تَحْتَ
سَقْفٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ جَادٌّ فِي مَعْصِيَةِ أَمْرِكَ وَالتَّمَرُّدِ عَلَيْكَ لَا يُطِيعُكَ.

فَأَنْتَ لَا تَقْبَلُ مِنْهُ ذَلِكَ وَمَا خَلَقْتَهُ، وَمَا أَنْتَ بِالَّذِي تَرْزُقُهُ؛ بَلِ الَّذِي يَرْزُقُكَ
وَيَرْزُقُهُ هُوَ اللَّهُ، وَالَّذِي يَكْلُوكَ وَيَحْفَظُكَ وَيَكْلُوهُ وَيَحْفَظُهُ هُوَ اللَّهُ، وَمَعَ ذَلِكَ
فَأَنْتَ لَا تَقْبَلُ مِنْهُ ذَلِكَ!! وَتَرْضَى ذَلِكَ مِنْكَ لِرَبِّكَ، هُوَ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ
فَعَدَلَكَ، وَيَرْزُقُكَ!! (*).



(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «عِشُوا الْوَحْيَ الْمَعْصُومَ!» - الْحَمِيسُ ٢٣ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ

١٤٣٨ هـ / ٢٢-١٢-٢٠١٦ م.

وَسَائِلُ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ السَّعِيدَةِ

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّا لَوْ سَأَلْنَا أَيَّ مُسْلِمٍ عَنِ غَايَتِهِ لَقَالَ: إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَعِيشَ سَعِيدًا،
وَأَنْ يَمُوتَ حَمِيدًا، وَأَنْ يُبْعَثَ آمِنًا.

فَهَذِهِ غَايَةُ شَرِيفَةٍ، وَمَقْصِدٌ كَرِيمٌ لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ مُسْلِمَانِ، وَلَكِنَّكَ إِنْ
سَأَلْتَ: «مَا الْوَسِيلَةُ؟»؛ تَبَايَنَتِ الْأَرَءُ، وَتَدَخَلَتِ الْأَهْوَاءُ!

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ذَكَرَ الْمَقْصِدَ وَالْغَايَةَ مَعَ الْوَسِيلَةِ وَالطَّرِيقَةَ فِي آيَةٍ
وَاحِدَةٍ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النَّحْلُ: ٩٧].

فَذَكَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْغَايَةَ، وَأَرَدَفَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالطَّرِيقَةِ
وَالْوَسِيلَةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَيْهَا؛ أَنْ تَعِيشَ سَعِيدًا، وَأَنْ تَمُوتَ حَمِيدًا، وَأَنْ تُبْعَثَ
آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

طَرِيقَكَ إِلَىٰ ذَلِكَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَإِذَا حَقَّقَ الْمُسْلِمُونَ هَذَيْنِ
الشَّرْطَيْنِ، وَأَتَوْا بِهِذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ.. تَحَقَّقَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ وَالْجَزَاءِ
الْحَسَنِ.

وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ هِيَ حَيَاةُ الْعِزَّةِ، وَحَيَاةُ الْكِرَامَةِ، وَحَيَاةُ الشَّرَفِ، وَحَيَاةُ
الإِطْمِئْنَانِ وَنَفْيِ الْقَلْقِ.

الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ حَيَاةُ الإِسْتِعْلَاءِ بِالإِيمَانِ فَوْقَ مُتَطَلِّبَاتِ الأَرْضِ وَمُقْتَضِيَّاتِ
الطَّيْنِ.

الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ وَالْجَزَاءُ الْحَسَنُ، لَمَّا حَقَّقَ الْمُسْلِمُونَ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ آتَاهُمُ اللهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ الرَّفْعَةَ وَالسِّيَادَةَ وَقِيَادَةَ الْعَالَمِ.

وَالْمِثَالُ الَّذِي يُضْرَبُ فِي هَذَا الْمَجَالِ هُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ اللهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ فِي قَوْمٍ أُمِّيِّينَ لَيْسَ لَهُمْ حِطٌّ وَلَا نَصِيبٌ مِنَ الْعِلْمِ وَلَا مِنَ
الْحَضَارَةِ، تُفْنِيهِمُ الْحُرُوبُ، يُشْنُّ أَوَارِ تِلْكَ الْحُرُوبِ بَيْنَهُمْ لِأَتْفِهِ الأَسْبَابِ،
وَيَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا!

وَبَعَثَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَيْنَهُمْ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ فَلَمَّا اتَّبَعُوا
الرَّسُولَ ﷺ فَأَمَنُوا وَعَمِلُوا صَالِحًا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ يَسِيرًا مِنَ الزَّمَانِ حَتَّى كَانُوا
سَادَةَ الْعَالَمِ وَقَادَةَ الأُمَّمِ، وَذُكَّتْ أَمَامَ زَحْفِهِمْ بِكَلِمَةِ «لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» الْحُصُونُ،
وَسُوَيْتِ الأَسْوَارُ، وَثَلَّتِ التِّيْجَانُ، وَهَدِمَتِ العُرُوشُ.. لَمَّا أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ
بِهَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ؛ بِالإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

فَيُؤْتِي اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَنْ أَتَى بِهِذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ فَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا؛ يُؤْتِيهِ
الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ، مَعَ مَا يَعِدُهُ بِهِ رَبُّهُ جَلَّ وَعَلَا مِنَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ فِي جَنَّةِ
الإِقَامَةِ بِالْكَرَامَةِ.

وَلَمَّا تَرَكَ الْمُسْلِمُونَ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ فَضَعُفَ الْإِيمَانَ وَرَقَّ وَخَفِيَ الْعَمَلُ
الصَّالِحُ أَوْ كَادَ يَزُولُ؛ سُلِّطَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمَمُ، وَوَقَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الذُّلِّ مَا هُوَ مَعْلُومٌ
لِكُلِّ ذِي بَصَرٍ، وَأَتَاهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ مَا يُوعَدُونَ جَزَاءً مَنْ أَعْرَضَ عَنِ دِينِ اللَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ لَا يَأْخُذُهُ بِقُوَّةٍ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُؤْخَذَ الدِّينُ.

الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ سِرُّ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، مَعَ مَا يَعِدُهُ بِهِ رَبُّنَا جَلَّتْ قُدْرَتُهُ
فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ.

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

فَوَعَدَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَنْ أَتَى بِهِذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ وَحَقَّقَ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ أَنْ
يَسْتَخْلِفَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الصَّالِحِينَ مِنْ قَبْلُ،
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُ الدِّينَ.

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِذَا مَكَنَ لِلصَّالِحِينَ مَكَنًا لِدِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي
الْأَرْضِ: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [٤٠] الَّذِينَ إِنْ
مَكَنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ
الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يُرِيدُ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ أَنْ يُحَقِّقَهُمَا الْمُسْلِمُونَ، فَإِذَا
حَقَّقَ الْمُسْلِمُونَ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ فَأَمَنُوا وَعَمِلُوا صَالِحًا مَكَنَ اللَّهُ رَبُّ

الْعَالَمِينَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، بَعْدَ أَنْ يَسْتَخْلِفَهُمْ فِيهَا كَمَا اسْتَخْلَفَ الصَّالِحِينَ مِنْ قَبْلُ، ثُمَّ يُمْكِنُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَذَلِكَ كُلُّهُ يُؤَدِّي فِي النِّهَايَةِ إِلَى مَاذَا؟

إِلَى عِبَادَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]؛
يُوحِّدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا.

وَأَمَّا مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ الْفَاسِقُ حَقًّا، فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ لَا فَاسِقَ إِلَّا هُمْ، وَهَذَا أُسْلُوبٌ مَعْرُوفٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ يُفِيدُ الْقَصَرَ وَالْحَضَرَ: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَدْ شَرَعَ لَنَا هَذَا الدِّينَ الْعَظِيمَ، وَمَنْ عَلَيْنَا بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَسْأَلَهُ، فَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِي هُوَ دِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ارْتَضَاهُ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ.

الإِسْلَامُ الْعَظِيمُ هُوَ دِينُ الْمُرْسَلِينَ أَجْمَعِينَ، أَرْسَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَكُلُّهُ مَحَاسِنٌ؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَدْ رَضِيَهُ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ.

فَعَقِيدَتُهُ تَجْعَلُكَ مُطْمَئِنًّا الْقَلْبَ لِرَبِّكَ جَلَّ وَعَلَا، مُسْتَقَرًّا الضَّمِيرَ، مُوَحِّدًا سَيِّدَكَ الَّذِي خَلَقَكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَهُوَ يَرْزُقُكَ وَيَكْلُوكَ وَيَرْعَاكَ، تُوَحِّدُ اللهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، تَعْبُدُهُ وَتُؤَدِّي الْعِبَادَةَ لِرَبِّهِ طَالِبًا رِضَاهُ وَوَحْدَهُ.

هَذِهِ الْفِطْرَةُ هِيَ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ، هِيَ الدِّينُ الْقِيَمُ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»؛ عَلَى هَذَا الدِّينِ، عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، فَطَرَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنْشَأَكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ، وَأَخْرَجَكَ إِلَى هَذَا الْوُجُودِ مُسْلِمًا.

وَمَا يَأْتِي بَعْدُ مِنْ انْحِرَافَاتٍ فِي الْإِعْتِقَادِ وَالْأَدْيَانِ وَمَا أَشْبَهَ.. فَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ صُنْعِ الْبَشَرِ، وَمِنْ فِعْلِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ (١).

«كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ يُنصَّرَانِهِ، أَوْ يُمَجَّسَّانِهِ» (٢)، سُبْحَانَ اللَّهِ! وَلَمْ يَقُلْ بِهِ: أَوْ يَجْعَلَانِهِ مُسْلِمًا! لِأَنَّهُ مُسْلِمٌ عَلَى الْأَمْرِ الْأَوَّلِ، أَنْشَأَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَفَطَرَهُ مُسْلِمًا

فَالكُفْرُ وَالشِّرْكَ انْحِرَافٌ عَنِ الْفِطْرَةِ، وَإِذَا انْحَرَفَتِ الْفِطْرَةُ عَمَّا فَطَرَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ، وَإِذَا مَا جَانَبَ الْإِنْسَانُ الطَّرِيقَ الَّذِي هَدَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ هِدَايَةً

(١) أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (٤ / ٢١٩٧، رَقْمُ ٢٨٦٥)، مِنْ حَدِيثِ: عِيَاضِ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ...» الْحَدِيثُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: (٣ / ٢٤٥-٢٤٦، رَقْمُ ١٣٨٥)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: (٤ / ٢٠٤٧، رَقْمُ ٢٦٥٨)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِهَمَا: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ...»، وَلِمُسْلِمٍ: «كُلُّ إِنْسَانٍ تَلِدُهُ أُمَّهُ عَلَى الْفِطْرَةِ...».

قَدْرِيَّةٌ بِهِدَايَةِ الدَّلَالَةِ هِدَايَةٌ شَرْعِيَّةٌ، هِدَايَةٌ قَدْرِيَّةٌ لِمَنْ تَبَعَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ مَعَ شَرِيعَتِهَا، وَدَلَالَةٌ شَرْعِيَّةٌ لِمَنْ جَانَبَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ وَلَمْ يُوقِنْ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هَذَاكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ وَأَقَامَكَ عَلَيْهَا، فَأَيُّ انْحِرَافٍ عَنْ سَبِيلِهَا يَجْعَلُ الْمَرْءَ فِي قَلَقٍ دَائِمٍ، وَفِي هَمٍّ مُقِيمٍ، وَحَالُهُ لَا يَسْتَقِيمُ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَقِيمَ حَالَ الْمَرْءِ إِلَّا بِاتِّبَاعِ دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

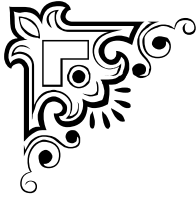
فَدِينُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْفِطْرَةُ، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خَلَقَ الْخَلْقَ حُنْفَاءً عَلَى الْفِطْرَةِ، فَإِذَا وَافَقَتِ الْفِطْرَةُ الشَّرْعَ وَوَافَقَ الشَّرْعُ الْفِطْرَةَ فَهِيَ السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَنْتَظَرُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَطَاءِ.

هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، فَيَحْيَا الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ مَعَ مَا يَنْتَظَرُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ عِنْدَ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا.

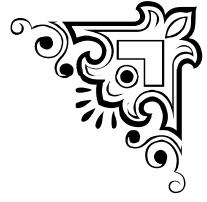
عِيشُوا الْإِسْلَامَ إِذَا أَرَدْتُمْ الْمَرْدُودَ الْحَقَّ، عِيشُوهُ، عِيشُوا دِينَ اللَّهِ، أَمَا أَنْ نَتَوَقَّفَ عِنْدَ حُدُودِ اللَّفْظِ كَلَامًا أَوْ عِنْدَ حُدُودِ الْكَلِمَةِ كِتَابَةً وَبَيَانًا.. فَمَا أَكْثَرَ الْكَلَامَ! وَمَا أَعْظَمَ الْفَصَاحَةَ وَالْبَلَاغَةَ يُهْدِرُ بِهَا فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَكَلَامٍ! وَلَكِنْ.. أَيُّ شَيْءٍ يُفِيدُ ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَتَحَوَّلْ إِلَى وَاقِعٍ مَنْظُورٍ فِي كَوْنِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟! (*).



(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ عِيدِ الْفِطْرِ ١٤٢٨ هـ: «الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ وَالْجَزَاءُ الْحَسَنُ» - السَّبْتُ ١



العَالَمُ الْيَوْمَ فِي حَاجَةٍ إِلَى دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ



إِنَّ الْبَشَرِيَّةَ كُلَّهَا فِي حَاجَةٍ إِلَى الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فِي حَاجَةٍ ضَرُورِيَّةٍ مُلِحَّةٍ وَفَهْرِيَّةٍ قَدْ لَا تَدْرِي الْبَشَرِيَّةُ حَاجَتَهَا إِلَى ذَلِكَ!!

الإسلامُ دينُ العِزَّةِ.. دينُ الرِّفْعَةِ.. دينُ الكَرَامَةِ، كما أَنَّهُ دينُ العَدْلِ وَنَفْيِ الجُورِ.

الإسلامُ دينُ الله، وَحَقِيقَتُهُ يَنْبَغِي أَنْ يُدْعَى إِلَيْهَا كما جَاءَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ (*).

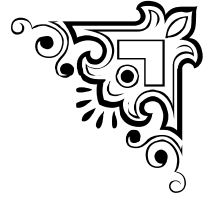
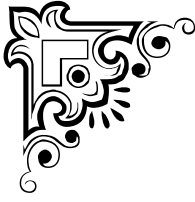
عِبَادَ اللهِ! هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ يَشْرَفُ الْمَرْءُ غَايَةَ الشَّرَفِ بِأَنْ يَكُونَ مُتَسَبِّبًا إِلَيْهِ، وَمَا أَخَذَ ذَلِكَ بِمَلِكِهِ؛ وَإِنَّمَا الْهَادِي هُوَ اللهُ، وَالْمَوْفَّقُ هُوَ اللهُ.

نَسْأَلُ اللهُ أَنْ يُفَهِّمَنَا دِينَنَا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا مَعْرِفَةَ حَقِيقَتِهِ، وَأَنْ يُمَسِّكَنَا بِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَأَنْ يَهْدِيَنَا وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، ﷺ (*). (٢).



(*). مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْهَزِيمَةُ النَّفْسِيَّةُ» - ٣ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤٣٢ هـ / ٥-٦-٢٠١١ م.

(*). (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «عِشُوا الْوَحْيَ الْمَعْصُومَ!» - الْخَمِيسُ ٢٣ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٨ هـ / ٢٢-١٢-٢٠١٦ م.



الفهرس

| | |
|----|--|
| ٣ | مُقَدِّمَةٌ |
| ٤ | نِعْمَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ |
| ٨ | سَعَادَةُ الْعَالِمِ وَصَلَاحُهُ فِي اتِّبَاعِ الْوَحْيِ |
| ١٦ | الْوَحْيِيُّ رُوحُ الْعَالِمِ وَنُورُهُ وَحَيَاتُهُ |
| ١٩ | دَلَائِلُ عَدْلِ وَرَحْمَةِ الْإِسْلَامِ بِالْعَالِمِ |
| ٣١ | رَحْمَةُ الْإِسْلَامِ بِالْعَالِمِ بِشَهَادَةِ الْغَرِيبِينَ |
| ٣٧ | عِشُوا بِالْوَحْيِ تَسْعُدُوا!! |
| ٤٦ | وَسَائِلُ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ السَّعِيدَةِ |
| ٥٢ | الْعَالِمِ الْيَوْمَ فِي حَاجَةٍ إِلَى دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ |
| ٥٣ | الْفَهْرَسُ |

